الرؤيا والمبشرات

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

أشرف على التصحيح والتدقيق، كل من السادة:
محمد ماجد الحناوي ـ سعيد الناشي ـ أحمد العاقل

الرؤيـــا

الواقعـــة[1]:

الواقعة هي ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان، من خطاب أو مثال أو غير ذلك، على يد الغوث، فهي المبشرات التي أبقى الله لنا من آثار النبوة، التي سد بابها وقطع أسبابها، فالوقائع للأولياء، والوحي للأنبياء، وهي الرؤيا الصادقة، ما هي بأضغاث أحلام، وهي جزء من أجزاء النبوة. (ف ح٢/ ١٣٠، ٣٢ - ح٤/ ٣٩٥ - ح٣/ ١٠٣)

وقد يكون التنبيه الإلهي من واقعة، وهو أتم العلل، لأن الوقائع هي المبشرات، وهي أوائل الوحي الإلهي من داخل، فإنها من ذات الإنسان، فمن الناس من يراها في حال النوم، ومنهم من يراها في حال فناء، ومنهم من يراها في حال يقظة، ولا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت. (ف ح٢/ ٤٩١)

ذكر الرؤيا في القرآن الكريم:

قال تعالى في سورة الأنفال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور﴾.

وقال تعالى في سورة الإسراء ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

وقال تعالى في سورة الفتح ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد

---

(١) لا أعرف ولم أجد أصلاً لهذه التسمية التي هي من اصطلاح القوم، ويغلب على الظن أنها مأخوذة من قوله تعالى ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ فوقوعها أمر محقق، وهكذا كشف الأولياء في النوم أو اليقظة، أو تكون مأخوذة من قوله ﷺ في الرؤيا: إنها معلقة برجل طائر، فإذا أولت وقعت.

الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رؤوسكم ومقصرين. لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾.

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر، رأيتهم لي ساجدين، قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ثم قال تعالى في تمام القصة ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً، وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ ففي قصة يوسف عليه السلام مثال على سلطان الخيال، وكونه محل العمل في التلطيف والتكثيف، مَثَّل الحق ليوسف عليه السلام عين إخوته وأبويه، فأنشأ الخيال صورة الإخوة كواكب، وصور الأبوين شمساً وقمراً، وكلهم لحم ودم وعروق وأعصاب، فانظر هذه النقلة من عالم السفل إلى عالم الأفلاك، ومن ظلمة الهيكل إلى نور هذه الكواكب، فقد لطف الكثيف، ثم عمد الخيال إلى مرتبة التقدم وعلو المنزلة والمعاني المجردة، فكساها صور السجود المحسوس، فكثف لطيفها، والرؤيا واحدة، فلولا قوة هذه الحضرة ما جرى ما جرى، ولولا أنها واسطة ما حكمت على الطرفين، فإن الوسط حاكم على الطرفين، لأنه حَدٌّ لهما. (ف ح١/ ٣٩٦ - ح٣/ ٤٥١)

وقال تعالى في نفس قصة يوسف عليه السلام ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فقال يوسف عليه السلام لهما في تعبير رؤياهما ﴿ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

وفي نفس السورة يقص علينا الحق رؤيا عزيز مصر فيقول تعالى ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فيؤولها يوسف عليه السلام فيقول ﴿تزرعون سبع سنين دأباً، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع

شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفي يعصرون﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم﴾.

وقال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾. قيل إن هذا الوحي كانت رؤيا رأتها في المنام.

أما عن الحديث الشريف، فقد أخرج أبو داود ومالك، أن الأذان للصلاة كان رؤيا أراها الله تعالى عبد الله بن زيد الأنصاري، فأقرها رسول الله ﷺ، وذكر أبو داود مثله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد ورد في الصحاح كثير من المرائي فليراجعها من شاء.

ما ورد عن الرؤيا في الحديث الشريف:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي، والرؤيا الحسنة من الرجل الصالح - وفي رواية رؤيا المؤمن - جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة لا يكذب».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة».

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضرّه».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره، وإن الشيطان لا يتزايا بي - وفي رواية - وليتحول من شقه الذي كان نائماً حين الرؤيا إلى شقة أخرى، فلو لم يكن للرؤيا أثر فيمن رؤيت له أو رآها لنفسه، ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلاً، ويتحول صاحب الرؤيا من جنب إلى جنب تتحول الرؤيا بتحوله، ويرمى شرها عمن اتخذه معاذاً. (ف ح٢/ ٣٧٧ - ح٣/ ٣١٣)

وأخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من كذب في رؤياه كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تريا».

هذا يدل على عظيم مكانة الرؤيا وعظم حرمتها، لأنها جزء من النبوة ووحي من الله تعالى، فمن كذب فيها فقد كذب على الله تعالى، فيكلفه الله تعالى يوم القيامة ما لا يطاق، فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله، فإنه جاء في كذبه بتأليف ما لا يصح تأليفه، فلم يأتلف في نفس الأمر، وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبداً، ولذلك نسب الحلم إلى الشيطان، ولم تسمى رؤيا، فإن الحلم هو إفساد الصورة، يقال حلم الأديم وحلم اللبن إذا تغيرت صورته، والتغير فساد الصورة الأصلية، ولما كانت الرؤيا في الخيال، ومن حقيقة الخيال إفساد الصور بتغيرها، قال ﷺ: «الحلم من الشيطان»، للمناسبة في المعنى من

الفساد، فإن تغيير الصورة من الشيطان في الخيال، يقصد بها الكذب على الله، وقال رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله» للأدب في اللفظ، لأنها حق من عند حق، مع ما يقع فيها من تغيير الصور.

رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام:

حديث أنس بن مالك وفيه قال قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رآني».

أخرج البخاري عن أبي قتادة قال قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق».

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي».

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن أناساً من أمتي يأتون بعدي، يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله».

فمن كان من الصالحين، ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه، حشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن وعلى أسنى حالة، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم، ولا يسمى صاحباً ولو رآه في كل منام، حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً، يخاطبه ويأخذ عنه، ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها.
(ف ح٣/ ٥٠)

الــرؤيـــــا:

اعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة، وما هي بأضغاث أحلام، وهي لا تكون إلا في حال النـوم، قالت عائشة في الحديث الصحيح: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من

الـوحي الـرؤيا الصـادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وسبب ذلك صدقـه ﷺ، فإنـه ثبت عنـه أنه قال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» فكان لا يحدث أحداً ﷺ بحديث عن تزوير يزوره في نفسه، بل يتحدث بما يدركه بإحدى قواه الحسية أو بكلها، ما كان يحدث بالغرض، ولا يقول ما لم يكن، ولا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله، مما لم يرَ لتلك الصورة بجملتها عيناً في الحس، فهذا صدق رؤياه، وإنما بديء الوحي بالرؤيا دون الحس، لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس، لأن الحس طرف أدنى، والمعنى طرف أعلى وألطف، والخيال بينهما، والوحي معنى، فكان بدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية، المقيدة في حضرة الخيال، في نوم كان أو يقظة، وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس، فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس، فلابد أن يعبر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس، والخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عنده في صورة المحسوس، لابد من ذلك، فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا، وإن كان في حال اليقظة سمي تخيلاً أي خيل إليه، فلهذا بديء الـوحي بالخيال، ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج، فكان يتمثل له الملك رجلاً، أو شخصاً من الأشخاص المدركة بالحس، فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك، وقد يدركه الحاضرون معه، فيلقي على سمعه حديث ربه وهو الوحي، وتارة ينزل على قلبه ﷺ، فتأخذه البرحاء، وهو المعبر عنه بالحال، فإن الطبع لا يناسبه، وانفرد الأنبياء في ذلك بالتشريع، فقد يكون الولي بشيراً ونذيراً، ولكن لا يكون مشرعاً، فإن الرسالة والنبوة بالتشريع قد انقطعت، فلا رسول بعده ولا نبي، أي لا شرع ولا شريعة، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعـدي ولا نبي» فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات» فقالوا «يارسول الله وما المبشرات؟» فقال: «رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة» هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك، وعن أبي هريرة وحذيفة وابن عباس وأم كرز، أنه ﷺ أخبر «أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة» فقد بقي للناس من النبوة هذا وغيره، ومع هذا لا يطلق اسم النبوة والنبي إلا على المشرع خاصة، فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة،

وما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص، وإن كان حجر هذا الاسم، نتأدب ونقف حيث وقف ﷺ، بعد علمنا بما قال وما أطلق وما حجر، فنكون على بينة من أمرنا.
(ف ح٢/ ٣٧٥ - ح٣/ ١٠٣ - ح٢/ ٣٧٥، ٨٥، ٣٧٥)

وإذا علمت هذا، فلنقل: إن الرؤيا ثلاث، منها بشرى، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيرتقم في خياله، فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك، لأنه تصوره في يقظته فبقي مرتسماً في خياله، فإذا نام وانصرفت الحواس إلى خزانة الخيال، أبصرت ذلك، والرؤيا الثالثة من الشيطان، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث، فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى، ورؤيا من تحزين الشيطان، ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه، وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس» - الحديث - وفي حديث أبي قتادة عن رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من شرها فإنها لا تضره» وهو حديث حسن صحيح، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «إن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت». (ف ح٢/ ٣٧٦).

واعلم أن لله ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح، وهو دون السماء الدنيا، وبيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره، وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان، فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء، أو قوة إدراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته، عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور، فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته، ما يدركه النائم في نومه، وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها، من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها، الذي محله مقدم الدماغ، فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل - عن الإذن الإلهي - ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب أو الفاني أو القوي، من المعاني المتجسدة في الصور التي بيد هذا الملك، فمنها ما يتعلق بالله وما يوصف به من الأسماء، فيدرك الحق في صورة، أو القرآن أو العلم، أو الرسول الذي هو على شرعه، فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو إحداهن، المرتبة الواحدة أن تكون

الصورة المدركة راجعة للمرئي، بالنظر إلى منزلة ما من منازله وصفاته التي ترجع إليه، فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما يرجع إليه، والمرتبة الثانية أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى حال الرائي في نفسه، والمرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى الحق المشروع والناموس الموضوع، أي ناموس كان، في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها، في ولاة أمر ذلك الإقليم القائمين بناموسه، وما ثَمَّ مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه، فالأولى وهي رجوع الصـورة إلى عين المرئي، فهي حسنة كاملة ولابد لا تتصف بشيء من القبح والنقص، والمرتبتان الباقيتان، قد تظهر الصورة فيهما بحسب الأحوال، من الحسن والقبح والنقص والكمال، فلينظر إن كان من تلك الصورة خطاب، فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله، وبقدر ما يفهم منه في رؤياه، ولا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم الحس، إلا إن كان عالماً بالتعبير، أو يسأل عالماً بذلك، ولينظر أيضاً حركته - أعني حركة الرائي - مع تلك الصورة من الأدب والاحترام أو غير ذلك، فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة، فإنها صورة حق بكل وجه، وقد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة، وقد لا يشاهده، وما عدا هذه الصورة فليست إلا من الشيطان، إن كان فيه تحزين، أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته، فلا يعول على ما يرى من ذلك، ومع هذا وكونها لا يعول عليها، إذا عُبِّرت كان لها حكم ولابد، يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها، وهو أن الذي يُعَبِّرها لا يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم، فقد انتقلت تلك الصورة من المحل، الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان، إلى خيال العابر لها، وما هي له حديث نفس، فيحكم على صورة محققة ارتسمت في ذاته، فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصـورة في نفس العابر، كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين، وكانا قد كذبا فيما صوراه، فكان مما حدثا به أنفسهما، فتخيلاه من غير رؤيا، وهو أبعد في الأمر، إذ لو كان رؤيا لكـان أدخـل في باب التعبير، فلما قصاه على يوسف، حصل في خيال يوسف عليه السلام صورة من ذلك، لم يكن يوسف حَدَّث بذلك نفسه، فصارت حقاً في حق يوسف، وكأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل، وقاما له مقام المَلَك الذي بيده صور الرؤيا، فلما عَبَّر لهما رؤياهما، قالا له: أردنا اختبارك وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ فخرج الأمر في الحس كما عبر.

ثم إن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا، فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير والشر، بحسب ما تقتضي رؤياه، أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع، وأما في الصورة المرئية فلا، فيصور الله ذلك الحظ طائراً، وهو مَلَك في صورة طائر، كما يخلق من الأعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية، وإنما جعلها في صورة طائر، لأنه يقال: طار له سهمه بكذا، والطائر الحظّ، ويجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر وهو عين الطائر، ولما كان الطائر إذا اقتنص شيئاً من الصيد من الأرض إنما يأخذه برجله، لأنه لا يد له، وجناحه لا يتمكن له الأخذ به، فلذلك علق الرؤيا برجله، فهي المعلقة، وهي عين الطائر، فإذا عبرت سقطت لما قيلت له، وعندما تسقط ينعدم بسقوطها، ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا، فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير، فتلك الحال إما عَرَضٌ أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها، هي عين تلك الرؤيا وذلك الطائر، ومنه خلقت هذه الحالة ولابد، سواء كانت جسماً أو عرضاً أو نسبة، أعني تلك الصورة، كما خلق آدم من تراب، ونحن من ماء مهين.

ثم إن تسمية النبي ﷺ للرؤيا بشرى ومبشرة، لتأثيرها في بشرة الإنسان، فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها من باطنها، مما تتخيله من صورة تبصرها، أو كلمة تسمعها، إما بحزن أو فرح، فيظهر لذلك أثر في البشرة، لابد من ذلك، فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة، فلا يكون إلا هكذا. (ف ح٢/ ٣٧٧)

واعلم أن للرؤيا مكـانـاً ومحلاً وحالاً، فحالها النوم، وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة، الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة، في حال اليقظة من الحركة وإن كان في هواها، وأما المحل، فهو هذه النشأة العنصرية، لا يكون للرؤيا محل غيرها، فليس للمَلَك رؤيا، وإنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة، وأما المكان، فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة، وفي الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة، وذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات، ولاسيما في المؤمنين من أهل الكبائر، ولهذا لا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدته، إلا العذاب الممثل المتخيل في حضرة الخيال، لبقاء أحكام

الأسماء، فإنه ليس للاسم إلا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمه، وليس له تعيين حضرة ولا شخص، وما فوق فلك الكواكب فلا نوم، وأعني به النوم الكائن المعروف في العرف.
(ف ح٢/ ٣٧٨ - ح٣/ ١١٩ - ح٢/ ٣٧٨)

واعلم أن الإنسان إذا زهد في غرضه، ورغب عن نفسه وآثر ربه، أقام له الحق عوضاً من صورة نفسه، صورة هداية إلهية، حقاً من عند حق، حتى يرفل في غلائل النور، وهي شريعة نبيه ورسالة رسوله، فيلقى إليه من ربه ما يكون فيه سعادته، فمن الناس من يراها على صورة نبيه، ومنهم من يراها على صورة حاله، فإذا تجلت له في صورة نبيه، فليكن عين فهمه فيما تلقي إليه تلك الصورة لا غير، فإن الشيطان لا يتمثل على صورة نبي أصلاً، فتلك حقيقة ذلك النبي وروحه، أو صورة مَلَك مثله عالِم من الله بشريعته، فما قال فهو ذاك، فمن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ، فإن الله لابد أن يخرج إليه رسوله ﷺ في مبشرة يراها أو كشف، بما يكون له عند الله من الخير، وإنما يخرج إليه رسوله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ لا يتصور على صورته غيره، فمن رآه رآه لا شك فيه. (ف ح٣/ ٧٠ - ح٤/ ١٨٤)

فالمبشرات جزء من أجزاء النبوة، إما أن تكون من الله إلى العبد، أو من الله على يد بعض عباده إليه، وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو تُرَى له، فإن جاءته من الله في رؤياه على يد رسوله ﷺ، فإن كان حكماً تعبد نفسه به ولابد، بشرط أن يرى الرسولَ ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنه، حتى إنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا، فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذاك، وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ، ورآه شيخاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، ورآه في حسن أزيد مما وصف له، ، أو قبح صورة، أو يرى الرائي إساءة أدب في نفسه معه، فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ما هو رسول الله، فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع، إما في البقعة التي يراه فيها عند ولاة أمور الناس، وإما أن يرجع ما يراه إلى حال الرائي، أو إلى المجموع، غير ذلك فلا يكون، فيكون تغير صورته ﷺ، عين إعلامه وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه، أو حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه فيه، فإن جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به، إن اقتضى

ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به، وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم، فلا تحجير عليه فيما يأخذه منها، لا في العقائد ولا في غيرها، وذلك بخلاف حكمه لو رآه ﷺ على صورته، فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غير ذلك، فإن الله يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، هذا هو الفرقان بين الأمرين، فقد يرى رسول الله ﷺ في الرؤيا أو في الكشف، فيصحح من الأخبار ما ضعف بالنقل، وقد ينفي من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل، كما ذكر مسلم في صدر كتابه، عن شخص أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه، فأثبت ﷺ من الألف ستة أحاديث وأنكر ﷺ ما بقي، فمن رآه ﷺ في المنام فقد رآه في اليقظة، ما لم تتغير عليه الصورة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلاً، فهو معصوم الصورة حياً وميتاً، فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه. (ف ح٤/ ٢٧)

فمن اعتبر الرؤيا يرى أمراً هائلاً، وتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح في أصحابه، سألهم: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ لأنها نبوة، فكان يحب أن يشهدها في أمته، والناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة، التي كان رسول الله ﷺ يعتني بها، ويسأل كل يوم عنها، والجهلاء في هذا الزمان، إذا سمعوا بأمر وقع في النوم، لم يرفعوا به رأساً، وقالوا بالمنامات يريد أن يحكم، هذا خيال، وما هي إلا رؤيا؛ فيستهينوا بالرائي إذا اعتمد عليها، وهذا كله لجهل المعترض بمقامها، وجهله بأنه في يقظته وتصرفه في رؤيا، وفي منامه في رؤيا في رؤيا، فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه وهو في منامه، وهو قوله عليه السلام «الناس نيام» (ف ح٢/ ٣٨٠)

تعبير الرؤيا:

اعلم أن كل متلفظ من الناس بحديث، فإنه لا يتلفظ به حتى يخيله في نفسه، ويقيمه صورة يعبر عنها، لابد له من ذلك، ولما كان الخيال لا يراد لنفسه، وإنما يراد لبروزه إلى الوجود الحسي في عينه، أن يظهر حكمه في الحس، فإن المتخيَّل قد يكون مرتبة، وقد يكون ما يقبل الصورة الوجودية، كمن يتخيل أن يكون له ولد فيولد له ولد، فيظهر في عينه شخصاً قائماً مثله، وقد يتخيل أن يكون مَلِكاً وهي رتبة، فيكون مَلِكاً ولا عين للمملكة في

الوجود، وإنما هي نسبة، والتأويل عبارة عما يؤوْل إليه الذي حدث عنده في خياله، وما سمي الإخبار عن الأمور عبارة، ولا التعبير في الرؤيا تعبيراً، إلا لكون المخبر يَعْبُر بما يتكلم به ـ أي يجوز بما تكلم به ـ من حضرة نفسه إلى نفس السامع، فهو ينقله من خيال إلى خيال، لأن السامع يتخيله على قدر فهمه، فقد يطابق الخيال الخيال، خيال السامع مع خيال المتكلم، وقد لا يطابق، فإذا طابق سمي فهماً عنه، وإن لم يطابق فليس بفهم، ونقصد بهذه الإشارة إلى التنبيه على عظم رتبة الخيال، وأنه الحاكم المطلق في المعلومات، غير أن التعبير عن غير الرؤيا رباعي، والتعبير عن الرؤيا ثلاثي، أي في الرؤيا، وهما من طريق المعنى على السواء، وعين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح، وفي المستقبل مضموم ومخفف ﴿إن كنتم للرؤيا تعبُرون﴾ وهو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي والمستقبل، مفتوح العين في الماضي، وتكسر في مستقبله، وإنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوة في العبارة، لأنها أضعف في الخيال من الرؤيا، فإن المُعبِّر في غير الرؤيا، يعبر عن أمر متخيل في نفسه، استحضره ابتداءً وجعله كأنه يراه حساً، فضعف عمن يعبر عن الخيال، من غير فكر ولا استحضار كصاحب الرؤيا، فإن الخيال هنالك أظهر له ما فيه، من غير استحضار من الرائي، والمتيقظ ليس كذلك، فهو ضعيف التخيل بسبب حجاب الحس فاحتاج إلى القوة، فضعف التعبير عنه فقيل عبّر فلان عن كذا وكذا بكذا وكذا بتشديد عين الفعل، ألا ترى قولهم في عبور الوادي يقولون: عبرت النهر أعبره من غير تضعيف، لأن النهر هنا غير مستحضر بل هو حاضر في الحس، كما كان ذلك حاضراً في الخيال من غير استحضار، فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضار من المشقة، والاستعانة تؤذن بالتضعيف أبداً حيث ظهرت، لأنه لا يطلب العون إلا من ليس في قوته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه. (ف ح٣/ ٤٥٣، ٤٥٤)

قال يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام ﴿يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ وقال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن بعد تأويل رؤياهما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ وهو عليه السلام يلقي للتابع المحمدي في عروجه الروحاني ونزوله عليه، العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، وإن كان المحمدي من الأئمة في علم التعبير، أحضر الله

بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام، وأحضر له سوق الجنة، وأحضر له أجساد الأرواح النورية والنارية والمعاني العلوية، وعرفه بموازينها ومقاديرها ونَسَبها ونِسَبها، فأراه السنين في صورة البقر، وأراه خصبها في سِمَنها، وأراه جدبها في عجافها، وأراه العلم في صورة اللبن، وأراه الثبات في الدين في صورة القيد، وما زال يعلمه تجسد المعاني والنِسَب في صور الحس والمحسوس، فإن كل رؤيا صادقة ولا تخطىء، فإذا أخطأت الرؤيا، فالرؤيا ما أخطأت، ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطىء، حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة، ألا تراه ﷺ ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم ضُرِبَت عنقه، فوقع رأسه فجعل الرأس يتدهده وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ أن الشيطان يلعب به، فعلم رسول الله ﷺ صورة ما رآه، وما قال له خيالك فاسد، فإنه رأى حقاً، ولكن أخطأ في التأويل، فأخبره ﷺ بحقيقة ما رآه ذلك النائم، فالعابر للرؤيا هو الذي له جزء من أجزاء النبوة، حيث علم ما أريد بتلك الصورة، فقد يكون الرائي هو الذي يراها لنفسه، وقد يراها له غيره، والعابر هو صاحب علم تعبير الرؤيا. (ف ح٢/ ٢٧٥ ـ ح١/ ٣٠٧، ١٦٥)

فلا يعلم مرتبة عالم الخيال إلا الله، ثم أهله من نبي أو ولي مختص، غير هذين فلا يعرف قدر هذه المرتبة، والعلم بها أول مقامات النبوة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وجلس مجلسه بين أصحابه، يقول لهم «هل فيكم من رأى رؤيا؟» وذلك ليرى ما أحدث الله البارحة في العالم، أو ما يحدثه في المستقبل، وقد أوحى به إلى هذا الرائي في منامه، إما صريح وحي، وإما وحي في صورة يعلمها الرائي، ولا يعلم ما أريد بها، فيعبرها رسول الله ﷺ لما أراد الله بها، فهذا كان من اعتنائه ﷺ بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء.
(ف ح٣/ ٥٠٧)

فالتجلي الصوري في حضرة الخيال محتاج إلى علم آخر، يدرك به الرائي ما أراد الله بتلك الصورة، قال إبراهيم عليه السلام لابنه ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ والمنام حضرة الخيال، فلم يعبرها، وكان كبشاً ظهر في صورة ابن إبراهيم عليه السلام في المنام، فصَدَّق إبراهيم الرؤيا، ففداه ربه من إبراهيم عليه السلام بالذِبْح العظيم، الذي هو تعبير

رؤياه عند الله، وهو لا يشعر، ولذلك قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين ناداه ﴿أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ وما قال له: صَدَقْتَ في الرؤيا أنه ابنك؛ لأنه ما عبرها بل أخذ بظاهر ما رأى، والرؤيا تطلب التعبير، فلو صدّق في الرؤيا لذبح ابنه، وإنما صدّق الرؤيا في أن ذلك عين ولده، وما كان عند الله إلا الذبح العظيم في صورة ولده، ففداه لما وقع في ذهن إبراهيم عليه السلام، ما هو فداء في نفس الأمر عند الله، فصَوَّر الحسُ الذِبْحَ، وصور الخيال ابن إبراهيم عليه السلام، فلو رأى الكبش في الخيال لعبره بابنه أو بأمر آخر، فموطن الخيال يطلب التعبير، وقد غفل بقي بن مخلد ـ الإمام صاحب المسند ـ عن توفية الموطن حقه، وقد سمع في الخبر الذي ثبت عنده، أنه قال عليه السلام «من رآني في النوم فقد رآني في اليقظة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي» فرآه بقي بن مخلد، وسقاه النبي ﷺ في هذه الرؤيا لبناً، فصدّق بقي بن مخلد رؤياه، فاستقاء فقاء لبناً، ولو عبر رؤياه لكان ذلك اللبن علماً، فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما استقاء، ألا ترى أن رسول الله ﷺ أتي في المنام بقدح لبن قال «فشربتـه حتى خرج الري من أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر» قيل «ما أولته يارسول الله؟» قال «العلم» وما تركه لبناً على صورة ما رآه، لعلمه بموطن الرؤيا وما يقتضي من التعبير، فمن تجسد له روح النبي ﷺ في المنام، بصورة جسده كما مات عليه، لا يخرم منه شيئاً، فهو محمد ﷺ المرئي من حيث روحه، في صورة جسدية تشبه المدفونة في المدينة، لا يمكن للشيطان أن يتصور بصورة جسده عليه السلام، عصمةً من الله في حق الرائي، ولهذا من رآه بهذه الصورة، يأخذ عنه جميع ما يأمره أو ينهاه عنه أو يخبره، كما كان يأخذ عنه في الحياة الدنيا من الأحكام، على حسب ما يكون منه اللفظ الدال عليه، من نص أو ظاهر أو مجمل أو ما كان، فإن أعطاه شيئاً فإن ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير، فإن خرج في الحس كما كان في الخيال، فتلك الرؤيا لا تعبير لها، وبهذا القدر وعليه اعتمد إبراهيم عليه السلام وبقي بن مخلد، ولما كان للرؤيا هذان الوجهان، وعَلّمنا الله ـ فيما فعل إبراهيم عليه السلام، وما قال له ـ الأدبَ لما يعطيه مقام النبوة ﴿قد صدّقت الرؤيا﴾ علِمنا في رؤيتنا الحقَ تعالى في صورة يردها الدليل العقلي، أن تعبر تلك الصورة بالحق المشروع، إما في حق الرائي أو المكان الذي رآه فيه، أو هما معاً، فإن لم يردها الدليل العقلي أبقيناها على ما رأيناها، كما يرى الحق في الآخرة سواء. **(فصوص الحكم/ فص حكمة إسحاقية)**

وكان عندنا شاب صالح، سأل أباه أن يتركه يمشي إلى خدمة أبي مدين ببجاية، ونحن بإشبيلية، فأبى والـده، وكان له أخ صغير، فرأى النبي ﷺ وهو يقول لأبيه: دع محمـداً يمشي حيث سأل، فإني سأبشره بالسـاحـل، فقص عليه وعلى أبيه، فدعا بولده السائل، وخلاه لوجهه، فأخذ الولد يبكي، فقلت له: ما أبكاك مع هذه البشارة؟ فقال: أخاف من قوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ فقلت: لا جزاك الله عن نفسك خيراً، ولا عن جهلك في تأويلك، هو ما قلت، وسـافـر عنا، فلحق بأبي مدين، فأكرمه مدة، ثم هجره، وطرده من عنده، فلما كان بعد عشر سنين، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية، وقد بدل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة، والطاعة بالمعصية، والإيمان بالزندقة، ففارقته، وخرج ما عبر به رؤيا أخيه، فنسأل الله العافية من كلمة تؤدي إلى الهلكة في دين أو دنيا. **(مسامرات/ ح٢)**

رأى بعض المكاشفين وهو نجم الدين ابن شاي الموصلي، أن معروفاً الكرخي رضي الله عنه في وسط النار قاعد، فهاله ذلك، وما عرف معناه، وما علم أنه يتنعم فيها نعيم الأبرار، وتخيل فيه أنه هالك، مع ما عنده من تعظيمه بين القوم، وتنزيهه عما يستحق من اللوم، فلما ذكره للشيخ الأكبر قدس الله سره، قال له: تلك النار هي الحمى على منزله الذي رأيته فيه قاعداً، فمن أراد أن ينال ذلك المنزل الذي هو فيه، فليقتحم إلى هذه النار والغمرات، فهذه النار هي الشدائد والمجاهدات، فكان معروف عين الجنة، والنار التي رآها المكاشف عليه كالجُنَّة، وهي المجاهدات التي كان عليها في حياته.

(ف ح٤/ ٣٨٥ ـ كتاب الأعلاق)

مبشرات رآها الشيخ الأكبر

رضي الله عنه

أخذ أحكام من رسول الله ﷺ في الرؤيا

يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره العزيز عن نفسه.

رفع اليدين في الصلاة:

أما أنا فرأيت رسول الله ﷺ في رؤيا مبشرة، فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع وعند الرفع من الركوع، ولا يقول بذلك أهل بلادنا جملة واحدة، وليس عندنا من يفعل ذلك ولا رأيته، فلما عرضت على محمد بن علي بن الحاج - وكان من المحدثين - روى لي فيه حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ ذكره مسلم، ووقفت عليه بعد ذلك في صحيح مسلم لما طالعت الأخبار، ورأيت بعد ذلك أن فيه رواية عن مالك بن أنس رواها ابن وهب، وذكر أبو عيسى الترمذي هذا الحديث وقال: وبه يقول مالك والشافعي. (ف ح١/ ٤٣٧ - ح٤/ ٧٠)

الصلاة على الجنازة - الأكفان - الغسل من الجنابة - الجماع:

كنت أقول بالصلاة على الجنائز حيث كانت، في مسجد وغيره، حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو ينهى عن دخول الجنائز المسجد وعن الصلاة عليها، فانتهيت، فما صليت بعد ذلك على جنازة في المسجد، فإني رأيت رسول الله ﷺ وهو يكره إدخال الجنازة في المسجد، ويكره أيضاً أن يستر الميت من الذكران، بثوب زائد على كفنه، وأمر أن يسلب عنه ويترك على نعشه في كفنه، وأن لا يستر في تابوت أصلاً، وأمرني إذا كان البرد أن أسخن الماء للغسل من الجنابة ولا أصبح على جنابة، ورأيته يشكر على الجماع، ويستحسن ذلك من فاعله، هذا كله رأيته في هذه الليلة، ورأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة، وذكرت له

أن رسول الله ﷺ أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة، فقال لي: هكذا ذكر البخاري أنه رأي النبي ﷺ في النوم فأمره بذلك، ورأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك، ورآني الفربري في النوم وعلمت أنه رآني في النوم، ورأيته أنا في نومه، فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا، فعلمته أنا من قول الفربري وثبت عندي، وها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل عليه، واستيقظت، فأمرت أهلي أن يسخنوا لي ماء، واغتسلت مع الفجر.

(ف ح١/ ٥٣٧ ـ ح٢/ ٢٥٣)

الطواف والصلاة في جميع الأوقات في الحرم المكي:

ولقد رأيت وأنا بمكة في المنام رسول الله ﷺ، وقد استقبل الكعبة ويشير إليها يقول: ياساكني أو قال يامالكي (الشك مني) هذا البيت، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت في أي وقت كان، من ليل أو نهار، أن يصلي في أي وقت شاء، من ليل أو نهار، فإن الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة ـ وكنت قبل هذه الرؤيا عندي في إجازة الطواف بعد الصبح والعصر وقفة، فإن حديث النسائي الذي يشبهه حديثنا، رأيتهم قد توقفوا في الأخذ به، فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عني الإشكال، وثبت به عندي حديث النسائي وحديث أبي ذر الغفاري، والحمد لله. (ف ح١/ ٥٩٩، ٧٠٦ ـ ح٢/ ٢٥٤ ـ كتاب المبشرات).

الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

سألت رسول الله ﷺ في الرؤيا، التي تعلمت منها دعاء ختم المجلس، سألته عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً؛ فقال لي ﷺ: هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فكنت أقول له: يارسول الله فإن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة، فقال ﷺ: هؤلاء حكموا بما وصل إليهم وأصابوا، ففهمت من هذا تقرير حكم كل مجتهد، وأن كل مجتهد مصيب، فكنت أقول له: يارسول الله، فما أريد في هذه المسألة إلا ما تحكم به أنت إذا استفتيت، وما لو وقع منك ما كنت تصنع؟ فقال: هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فرأيت شخصاً قد قام في آخر الناس ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب الرسول ﷺ يقول: ياهذا ـ بهذا اللفظ ـ لا نحكمك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويبك حكم أولئك الذي ردوها إلى واحدة،

فاحمر وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم، ورفع صوته يصيح: هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، تستحلون الفروج، فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات، حتى أسمع من كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل، حتى ما بقي منه على الأرض شيء، فكنت أسأل عنه: من هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله - واستيقظت. (ف ح٤/ ٥٥٢ - كتاب المبشرات).

عدة المطلقة ومعنى القرء:

وكنت أراه ﷺ في هذه السنة - تسع وتسعين وخمسمائة - في النوم أيضاً، فكنت أقول له: يارسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والقرء عند العرب من الأضداد، يطلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرف بما أنزل الله عليك، فما أراد الله به هنا؟ الحيض أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله، يكني، فكنت أقول: يارسول الله فإذن هو الحيض، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله، ثلاث مرات، وكنت أفهم منه ذلك الوقت أنه يريد بقوله «إذا فرغ قرؤها» إذا انقطع عنها الدم «فأفرغوا عليها الماء» أي مروها بالغسل «وكلوا مما رزقكم الله» كناية عن الجماع واستيقظت. (ف ح٤/ ٥٥٢) إيجاز البيان/ سورة البقرة آية رقم ٢٢٩)

الاشتغال بتقييد الحديث والأخذ به وترك الرأي:

كان جملة أصحابنا - قبل أن أعرف العلم - قد رغبوا وقصدوني محرضين على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذلك ولا بالحديث، فرأيت نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع، وجماعة بأيديهم السلاح يريدون قتلي، ولا ملجأ معي آوي إليه، فرأيت ربوة ورسول الله ﷺ عليها واقف، فلجأت إليه، فألقى ذراعه عليّ وضمني ضماً عظيماً، وقال لي: ياحبيبي استمسك بي لتسلم، فنظرت إلى هؤلاء الأعداء، فلم أرَ منهم على وجه الأرض أحداً، فمن ذلك الوقت اشتغلت بتقييد الحديث[1]. (كتاب المبشرات)

---

(١) راجع رؤيا الشيخ للإمام مالك ص ٧٧.

يؤكد رؤيا الشيخ فيما بعد قوله: أخبرني القاضي عبد الوهاب الأزدي الإسكندري بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال: رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام، فسألته ما رأيت؟ فذكر أشياء، منها قال: رأيت كتباً مرفوعة، فسألت: ما هذه الكتب المرفوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الحديث، فقلت: وما هذه الكتب الموضوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها - فرأيت في الأمر شدة. (ف ح٣/ ٦٩ - كتاب المبشرات)

أوقات الصلاة:

رأيت النبي ﷺ بين اليقظة والنوم وبيده ميزان الشمس، فرمى به وقال: بدعة ملعونة، صلوا كما شرع لكم. (كتاب المبشرات)

أخذ العلوم غير الأحكام

من رسول الله ﷺ وغيره من الرسل عليهم السلام في الرؤيا

دعـــاء:

هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام، يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري، سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمكة، بين باب الحزورة وباب أجياد: اللهم أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً، وارزقنا اللهم العافية وأدمها لنا، واجمع اللهم قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما تحب وترضى، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. (ف ح٤/ ٥٥٢ ـ كتاب المبشرات).

ترتيب خلق العالم:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه[1]، وأوقف وجودها على توجه كلمه، والصلاة على سر العالم ونكتته، ومطلب العالم وبغيته[2]، السيد الصادق، المدلج إلى ربه الطارق، المخترق به السبع الطرائق، ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق، الذي شاهدته عند إنشائي هذه الخطبة في عالم حقائق المثال، في حضرة الجلال، مكاشفة قلبية، في حضرة غيبية، ولما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد، محفوظ المشاهد، منصوراً مؤيداً، وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمته التي هي خير أمة عليه ملتفون، والصدّيق على يمينه الأنفس، والفاروق على يساره الأقدس،

---

(١) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية ص ٣٦٢ طبعة أولى ـ ص ٤٠٩ طبعة ثانية.

(٢) ألا تكفي هذه الصلاة والرؤيا التي وردت في مقدمة الفتوحات المكية، في الرد على كل ما جاء به الإمام ابن تيمية ومقلديه عن الشيخ الأكبر؟!!.

والختم بين يديه قد جثا، يخبره بحديث الأنثى[1]، وعليّ ﷺ يترجم عن الختم بلسانه، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شانه، فالتفت السيد الأعلى، والمورد العذب الأحلى، والنور الأكشف الأجلى، فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحكم، فقال له السيد: هذا عديلك، وابنك وخليلك، انصب له منبر الطرفاء بين يدي، ثم أشار إليّ، أن قم يامحمد عليه فأثن على من أرسلني وعليّ، فإن فيك شعرة مني[2]، لا صبر لها عني، هي السلطانة في ذاتيتك، فلا ترجع إليّ إلا بكليتك، ولابد لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنها ليست من عالم الشقاء، فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سَعِد، وكان ممن شُكر في الملأ الأعلى وحُمِد، فنصب الختم المنبر، في ذلك المشهد الأخطر، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر، هذا هو المقام المحمدي الأطهر، من رقي فيه فقد ورثه، وأرسله الحق حافظاً لحرمة الشريعة وبعثه، ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحِكَم، حتى كأني أوتيت جوامع الكلم، فشكرت الله عز وجل وصعدت أعلاه، وحصلت في موضع وقوفه ﷺ ومستواه، وبسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوقفت عليه. [حتى لا أباشر الموضع الذي باشره ﷺ بقدميه، تنزيهاً له وتشريفاً، وتنبيهاً لنا وتعريفاً، أن المقام الذي شاهده من ربه، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف، وعرفنا ما عرف، ألا ترى من تقفو أثره، لتعلم خبره، لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه، ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه، فإنه شاهد مثلاً تراباً مستوياً لا صفة له، فمشى عليه، وأنت على أثره لا تشاهد إلا أثر قدميه، وهنا سر خفي إن بحثت عليه، وصلت إليه، وهو من أجل أنه إمام، قد حصل له الأمام، لا يشاهد أثراً ولا يعرفه، فقد كشفت ما لا يكشفه، وهذا المقام قد ظهر، في إنكار موسى صلى الله على سيدنا وعليه وعلى الخضر] فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى، بين يدي من كان من ربه في ليلة إسرائه قاب قوسين أو أدنى، قمت مقنعاً خجلاً، ثم أُيدت بروح القدس فافتتحت مرتجلاً:

---

(١) يعني مريم عليها السلام.

(٢) مقام كمال العبودة لا ينال ذوقاً، وقد حصل لنا منه ﷺ شعرة، وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلا ظله.

يامنــزل الآيـات والأنبـاء أنــزل عليّ معـالم الأسـماء
حتى أكـون لحمد ذاتك جامعاً بمـحـامـد السراء والضراء

ثم أشرت إليه ﷺ:

ويكون هذا السيد العلَم الذي جردتـه من دورة الخـلفـاء
وجعلتـه الأصـل الكريم وآدم ما بين طينـة خلقـه والمـاء [1]
ونقلتـه حتى استـدار زمـانـه وعـطفت آخره على الإبـداء
وأقمتـه عبـداً ذليـلاً خاضعـاً دهـراً ينـاجيكم بغـار حراء
حتى أتـاه مبشراً من عنـدكم جبريـلُ المخصـوص بالإنبـاء
قال السـلام عليـك أنت محمد سر العـبـاد وخـاتم النبـآء
ياسيـدي حقـاً أقول؟ فقال لي صدقاً نطقت فأنت ظل ردائي
فاحمد وزد في حمد ربك جاهداً فلقـد وهبت حقـائق الأشيـاء
وانثر لنا من شأن ربك ما انجلى لفؤادك المحفـوظ في الـظلماء
من كل حق قائـم بحـقـيـقـة يأتـيـك مملوكـاً بغـير شراء

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام، فقلت وأشرت إليه ﷺ: حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون، الذي لا يمسه إلا المطهرون، المنزل بحسن شيمك، وتنزيهك عن الآفات وتقديسك، فقال في سورة ن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربـك بمجنـون، وإن لك لأجـراً غير ممنـون، وإنك لعلى خلق عظيم، فستبصر ويبصرون﴾ ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم، وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون، كل ما كان وما هو كائن وسيكون، وما لا يكون، مما لو شاء ـ وهو لا يشاء ـ أن يكون، لكان كيف يكون، من قدره المعلوم الموزون، وعلمه الكريم المخزون، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، ذلك الله الواحد الأحد فتعالى عما أشرك به المشركون، فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى، دون غيره من الأسما، إني أريد أن أخلق من أجلك

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وإلى قوله ﷺ في حديث جابر بن عبد الله: «أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر».

يامحمد العالم، الذي هو ملكك[1]، فأخلق جوهرة الماء، فخلقتها دون حجاب العزة الأحمى، وأنا على ما كنت عليه ولا شيء معي في عما، فخلق الماء سبحانه بَرَدَة جامدة كالجوهرة في الاستدارة والبياض، وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض، ثم خلق العرش واستوى عليه اسمه الرحمن، ونصب الكرسي وتدلت إليه القدمان، فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة فذابت حياء، وتحللت أجزاؤها فسالت ماء، وكان عرشه على هذا الماء، قبل وجود الأرض والسماء، وليس في الوجود إذ ذاك إلا حقائق المستوى عليه والمستوي والاستواء، فأرسل النَفَسَ فتموج الماء، ورجع القهقرى يريد ثبجه[2]، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه، فهو مخضة ذلك الماء، الحاوي على أكثر الأشياء، فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض، مستديرة النشء مدحية الطول والعرض، ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها، ففتق فيه السموات العلى، وجعلها محل الأنوار ومنازل الملأ الأعلى، وقابل بنجومها المزينة لها النيرات، ما زين به الأرض من أزهار النبات، وتفرد تعالى لآدم ووالديه[3] بذاته جلّت عن التشبيه ويديه، فأقام نشأة جسدية وسوّاها تسويتين، تسوية انقضاء أمده، وقبول أبده، وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود وأخفى عينها، ثم نبه عباده عليها بقوله تعالى ﴿بغير عمد ترونها﴾ فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ الدار الحيوان، مارت قبة السماء وانشقت فكانت شعلة نارٍ سيال كالدهان، فمن فهم حقائق الإضافات، عرف ما ذكرنا له من الإشارات، فيعلم قطعاً أن قبة لا تقوم من غير عمد، كما لا يكون والد من غير أن يكون له ولد، فالعمد هو المعنى الماسك، فإن لم ترد أن يكون الإنسان فاجعله قدرة المالك، فتبين أنه لابد من ماسك يمسكها، وهي مملكة فلابد لها من مالك يملكها، ومن مسكت من أجله فهو ماسكها، ومن وجدت له بسببه فهو مالكها، ولما أبصرَت حقائقُ

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، فلا تهتك ما خلقت من أجلي لما خلقت من أجلك» إشارة قوله تعالى: «يابن آدم» المقصود به رسول الله ﷺ.

(٢) ثبج كل شيء وسطه وهو بفتحتين.

(٣) هكذا في الأصل ولعلها «والديه» يشير بهما إلى التراب والماء الذي خلق منهما آدم عليه السلام.

السعداء والأشقياء، عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود ـ وهي حالة الإنشاء ـ حسن النهاية بعين الموافقة والهداية، وسوء الغاية بعين المخالفة والغواية، سارعت السعيدة إلى الوجود وظهر من الشقية التثبط والإباية، ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ يشير إلى تلك السرعة، وقال في الأشقياء ﴿فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يشير إلى تلك الرجعة، فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد، ما ظهر في هذا العالم سالك غيّ ولا رشاد، ولتلك السرعة والتثبط أخبرتنا صلى الله عليك، «أن رحمة الله سبقت غضبه» هكذا نسب الراوي إليك، ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه، وأظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه، فجعل لكل حقيقة اسماً من أسمائه تعبده وتعلَمُه، وجعل لكل سر حقيقة مَلكاً يخدمه ويلزمه، فمن الحقائق من حجبته رؤية نفسه عن اسمه، فخرج عن تكليفه وحكمه، فكان له من الجاحدين، ومنهم من ثبت الله أقدامه، واتخذ اسمه إمامه، وحقق بينه وبينه العلامة، وجعله أمامه، فكان له من الساجدين، ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب، شموساً تسبح في أفلاك المقامات، واستخرج أنوار النجباء، نجوماً تسبح في أفلاك الكرامات، وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان، فانحفظ بهم الثقلان، فأزالوا ميد الأرض وحركتها، فسكنت فازينت بحلي أزهارها وحلل نباتها وأخرجت بركتها، فتنعمت أبصار الخلق بمنظرها البهي، ومشامُّهم بريحها العطري، وأحناكهم بمطعومها الشهي، ثم أرسل الأبدال السبعة إرسال حكيم عليم، ملوكاً على السبعة الأقاليم، لكل بدل إقليم، ووزَّر للقطب الإمامين، وجعلهما إمامين على الزمامين، فلما أنشأ العالم على غاية الإتقان، ولم يبق أبدع منه كما قال الإمام أبو حامد في الإمكان، وأبرز جسدك صلى الله عليك للعيان، أخبر عنك الراوي أنك قلت يوماً في مجلسك «إن الله كان ولا شيء معه بل هو على ما عليه كان» وهكذا هي صلى الله عليك حقائق الأكوان، فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق، إلا بكونها سابقة وهن لواحق، إذ من ليس مع شيء، فليس معه شيء، ولو خرجت الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم، لانمازت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم، فالحقائق الآن في الحكم، على ما كانت عليه في العلم، فلنقل كانت ولا شيء معها في وجودها، وهي الآن على ما كانت عليه

في علم معبودها، فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق، ولا تعترض بتعدد الأسباب والمسببات، فإنها ترد عليك بوجود الأسماء والصفات، وأن المعاني التي تدل عليها مختلفات، فلولا ما بين البداية والنهاية من سبب رابط، وكسب صحيح ضابط، ما عرف كل واحد منهما بالآخَر، ولا قيل على حكم الأول. . يثبت الآخِر، وليس إلا الرب والعبد وكفى، وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود وشفا، ألا ترى أن الخاتمة عين السابقة؟ وهي كلمة واجبة صادقة، فما للإنسان يتجاهل ويعمى، ويمشي في دجنة ظلما، حيث لا ظل ولا ما، وأن أحق ما سُمِعَ من النبا، وأتى به هدهد الفهم من سبا، وجود الفلك المحيط، الموجود في العالم المركب والبسيط، المسمى بالهباء، وأشبه شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه، ولما كان هذا الفلك أصل الوجود، وتجلى له اسمه النور من حضرة الجود، كان الظهور، وقبلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول فيض ذلك النور، فظهرت صورة مثلية، مَشَاهِدُها عينية، ومَشَارِبُها غيبية، وجنتها عدنية، ومعارفها قلمية، وعلومها يمينية، وأسرارها مدادية، وأرواحها لوحية، وطينتها آدمية، فأنت أب لنا في الروحانية، كما كان - وأشرت إلى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع - أباً لنا في الجسمية، والعناصر له أم ووالد[1]، كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد، فلا يكون أمر إلا عن أمرين، ولا نتيجة إلا عن مقدمتين، أليس وجودك عن الحق سبحانه وكونه قادراً موقوفاً؟ وأحكامك عليه من كونه عالماً موصوفاً، واختصاصك بأمر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريداً معروفاً، فلا يصح وجود المعدوم عن وحيد العين، فإنه من أين يعقل الأين؟ فلابد أن تكون ذات الشيء أيناً لأمر ما، لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى، وفي معرفة الصفة والموصوف، تتبين حقيقة الأين المعروف، وإلا فكيف تسأل صلى الله عليك بأين؟ وتقبل من المسؤول فاء الظرف، ثم تشهد له بالإيمان الصرف؟ وشهادتك حقيقة لا مجاز، ووجوب لا جواز، فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقة ما، ما قبلت قولها - مع كونها خرساء - في السماء، ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة والكثيفة، ومهَّد المملكة وهيأ المرتبة الشريفة، أنزل في أول دورة العذراء الخليفة، ولذلك جعل سبحانه مدتنا

---

(١) هذا يؤكد إشارتنا رقم ١ ص ٢٥.

في الدنيا سبعة آلاف سنة[1]، وتحل بنا في آخرها حال فناء بين نوم وسِنَة، فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق، وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق، فترجع الدولة للأرواح، وخليفتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح، وترى الأشباح في حكم التبع للأرواح، فيتحول الإنسان في أي صورة شاء، لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء، وذلك موقوف على سوق الجنة، سوق اللطائف والمنة، فانظروا رحمكم الله، وأشرت إلى آدم، في الـزمـردة البيضـاء، قد أودعها الرحمن في أول الآباء، وانظروا إلى النور المبين، وأشرت إلى الأب الثاني الذي سمانا مسلمين، وانظروا إلى اللجين الأخلص، وأشرت إلى من أبرأ الأكمه والأبرص، بإذن الله كما جاء به النص، وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس، وأشرت إلى من بيع بثمن بخس، وانظروا إلى حمرة الأبريز، وأشرت إلى الخليفة العزيز، وانظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام، وأشرت إلى مَنْ فضل بالكلام، فمن سعى إلى هذه الأنوار، حتى وصل إلى ما يكشفه لك طريقها من الأسرار، فقد عرف المرتبة التي لها وجد، وصح له المقام الإلي وله سُجِد[2]، فهو الرب المربوب، والمحب المحبوب.

انـظر إلى بدء الوجود وكن به	فطناً ترَ الجـود القديم المُحْدِثا
والشيء مثـل الشيء إلا أنــه	أبــداه في عين العــوالم مُحْدَثـا
إن أقسم الــرائي بأن وجـوده	أزلاً فبرٌ صادق لن يحنـثـا
أو أقسم الــرائي بأن وجـوده	عن فقـده أحـرى وكـان مثلثا

ثم أظهـرت أسراراً، وقصصت أخباراً، لا يسع الوقت إيرادها، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها، فتركتها موقوفة على رأس مهيعها، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها ـ

---

(١) يراجع حديث وهب بن منبه وفيه يقول: «وعمر الدنيا سبعة آلاف» فهل السنون هي من سني الأرض؟ أم سني القمر أو كوكب آخر؟ لم يحدده الشيخ.

(٢) يشير إلى سجـود الملائكة لآدم عليه السلام، وأن السجود لا يكون إلا لله، وأن سجود الملائكة كان لله تعالى، وأن آدم كان للملائكة كالقبلة لنا، وهو ما قيل للشيخ في رؤياه ص (٤٣) من سجد لغير الله عن أمر الله فقد أدى قربة.

ثم رددت من ذلك المشهد النومي العلي، إلى العالم السفلي، فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب[1]. (ف ح ١/ ٢)

الحمد لله:

أرسل رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه إليّ آمراً بالكلام في المنام، بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي، ونجا الكل من أسر الهلاك، وقرب المنبر الأسنى، وصعدت عليه عن الإذن العالي المحمدي الأسمى، بالاقتصار على لفظة «الحمد لله» خاصة، ونزل التأييد ورسول الله ﷺ عن يمين المنبر قاعد، فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأثنى وبسمل: حقيقة «الحمد» هي العبد المقدس المنزه، «لله» إشارة إلى الذات الأزلية، وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله، ثم غيّبه عن وجوده بوجوده الأزلي وأوصله به، فقال «لله» فاللام الداخلة على قوله «الله» الخافضة له، هي حقيقة المألوه في باب التواضع والذلة؛ وهي من حروف المعاني لا من حرف الهجاء، ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفاً له، وتهمماً وتنزيهاً لمعرفتها بنفسها، وتصديقاً لتقديم النبي ﷺ إياها في قوله: «من عرف نفسه عرف ربه»، فقدم معرفة النفس على معرفة الرب، ثم عَمِلت في الاسم «الله» لتحقيق الاتصال وتمكينها من المقام، ولما كانت في مقام الوصلة، ربما توهم أن الحمد غير اللام، فخفض العبد إتباعاً لحركة اللام فقُرِىء «الحمدِ لله» بخفض الدال، فكان لفظة «الحمد» بدلاً من اللام، بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة، فالحمد هو وجود اللام، واللام هي الحمد، فإذا كانا شيئاً واحداً، كان الحمد في مقام الوصلة مع الله، لأنه عين اللام، فكان معنى، كما كانت اللام لفظاً ومعنى، ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية، ثم أحياناً يفنيها عن نفسها فناء كلياً، ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأولية، ثم يبقي حقيقتها في الآخرية فيقول «الحمدُ لله» برفع اللام، إتباعاً لحركة الدال، وهذا مما يؤيد أن الحمدَ اللامُ، وهو المعبر عنه بالرداء والثوب[2] إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع، فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت، والحق وراء ذلك كله، أو قل ومع ذلك كله، فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء،

---

(١) يعني الفتوحات المكية.

(٢) راجع كتابنا «الإنسان الكامل» الإنسان الكامل هو الرداء.

أراد أن يُعرّفها مع فنائها أنها ما برحت من مقامها، فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضاً في حق الحق، فأبقى الهاء مكسورة، تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودة، ولهذا شدت اللام الوسطى بلفظة «لا» أي ذات الحق ليست ذات العبد، وإنما هي حقيقة المثل لتجلي الصورة[1]، ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها، فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كل شيء، فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام، فالهاء هي اللام، وقد كانت اللام هي الحمد، فالهاء الحمد بلا مزيد، وقد قلنا: إن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل ـ فخرج من مضمون هذا الكلام، أن الحمد هو قوله «لله» وأن قوله «لله» هو قوله «الحمد». فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم[2]، فأحدث المثل على الصورة، وصار الموحد مرآه، فلما تجلت صورة المثل في مرآة الذات، قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها «احمدي من رأيت» فحمدت نفسها، فقالت «الحمد لله» فقال لها: «يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك» فسبقت رحمته غضبه، ولهذا قال عقيب قوله: «الحمد لله» «رب العالمين الرحمن الرحيم» فقدم الرحمة، ثم قال: «غير المغضوب عليهم» فأخر غضبه، فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود، فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة، ثم رحم بعد ذلك، فجاءت رحمتان بينهما غضب، فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان، فانضمت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما، كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضاق عليك الأمر فكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا ذكرته فافرح

(ف ح ١/ ١١١)

أفضلية الملائكة على الإطلاق:

يقول الشيخ رضي الله عنه، إن النبي ﷺ قام عندما رأى جنازة يهودي، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليس معها الملك»؟ وقال مرة أخرى: إن الموت فزع، وقال مرة

(١) تشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن رسول الله ﷺ «خلق الله آدم على صورته».

(٢) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية «إن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر».

أخرى: أليست نفساً؟ ولكل قول وجه، أرجى الأقوال أليست نفساً؟ لمن عقل، فكان قيامه مع الملك، وفي هذا الحديث قيام المفضول للفاضل عندنا، وعند من يرى أن الملائكة أفضل من البشر على الإطلاق، هكذا قال لي رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها، في هذه المسألة الطفولية التي بين الناس، واختلافهم في فضل الملائكة على البشر، فإني سألت رسول الله ﷺ في الواقعة، فقال لي: إن الملائكة أفضل، فقلت له: يارسول الله فإن سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول؟ فأشار إليّ أن قد علمتم أني أفضل الناس، وقد صح عندكم وثبت ـ وهو صحيح ـ أني قلت عن الله تعالى أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» وكم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم، فذكره الله في ملأ خير من ذلك الذي أنا فيهم، فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة، فإنه كان على قلبي منها كثير، فإن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف، فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد: إن الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً، ولم تقيد صنفاً ولا مرتبة من المراتب، التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره، وهم مسؤولون مؤاخذون بذلك عند الله، والعالم بالله المكمل، هو الذي يحمي نفسه أن يجعل الله عليه حجة بوجه من الوجوه، ومن أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر والنهي، وليرتقب الموت، ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة، فالملأ الأعلى عند الله أشرف من آدم عليه السلام، ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم من علم الأسماء، وقد أوضحت دليل تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر، أعطاني ذلك الدليل رسول الله ﷺ في رؤية أريتها، وقبل تلك الرؤية ما كنت أذهب إلى مذهب جملة واحدة، قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ فلو لم يكن من شرف الملائكة على سائر المخلوقات، إلا جمع الضمير في يصلون بينهم وبين الله لكفاهم، ما احتيج بعد ذلك إلى دليل آخر، فإن فضل آدم عليه السلام لم يعم، هكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبا مدين بأن فضل آدم لم يعم، فالإنسان أكمل نشأة والملك أكمل منزلة، كذا قال لي رسول الله ﷺ في الواقعة.

(ف ح١/ ٥٢٧ ـ ح٢/ ٦١، ٢٣٣، ٤٢٣ ـ ح١/ ٦٤٠)

أقل الجمع :

لما وصلت العدد والمعدودات نمت، فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وأنا بين يديه، وقد سألني سائل ـ وهو يسمع ـ ما أقل الجمع في العدد؟ فكنت أقول له: عند الفقهاء اثنان، وعند النحويين ثلاثة، فقال ﷺ: أخطأ هؤلاء وهؤلاء، فقلت له: يارسول الله فكيف أقول؟ قال لي: إن العدد شفع ووتر، يقول الله تعالى ﴿والشفع والوتر﴾ والكل عدد فميز، ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة ورمى بها على حصير كنا عليه، فرمى درهمين بمعزل، ورمى ثلاثة بمعزل، وقال لي: ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل: عن أي عدد تسأل: عن العدد المسمى شفعاً، أو عن العدد المسمى وتراً؟ ثم وضع يده على الاثنين الدرهمين وقال: هذا أقل الجمع في عدد الشفع، ثم وضع يده على الثلاثة وقال: هذا أقل الجمع في عدد الوتر، هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة، كذا هو عندنا، واستيقظت فقيدتها في هذا الباب كما رأيتها حين استيقظت، وخرج عن ذكري مسائل كثيرة، كانت بيني وبينه ﷺ، مما يتعلق بغير هذا الباب، وأنا في غاية السرور والفرح برؤيته ﷺ، ووجدت في خاطري عند انتباهي صحة النهي عن البتيرا[1]، فإنه تكلم في طريقه، فما رأيت معلماً أحسن منه. (ف ح٢/ ٢١٥)

مشاهدة عظمة الله في كل شيء :

اعلم ياأخي أنه ليلة تقييدي لبقية هذا المنزل، من بركاته رأيت رسول الله ﷺ وقد استلقى على ظهره، وهو يقول: «ينبغي للعبد أن يرى عظمة الله في كل شيء، حتى في المسح على الخفين ولباس القفازين» وكنت أرى في رجليه ﷺ نعلين أسودين جديدين، وفي يديه قفازين، وكأنه يشير إليّ مسروراً بما وضعته في هذا المنزل من العلم بما يستحقه جلال الله، ثم يقول: ما دام البدر طالعاً فالنفوس في البساتين نائمة، وفي جواسقها[2] آمنة، فإذا كان الظلام ولم يطلع البدر خيف من اللصوص، فينبغي أن يدخل الإنسان المدينة حذراً من اللصوص، فكنت أفهم عنه من هذا الكلام، أنه يريد أن النفوس إذا كان شهود الحق

---

(١) البتيرا هي صلاة الوتر ركعة واحدة دون أن يسبقها شفع.

(٢) الجوسق: القصر.

غالباً عليها، محققة به وفيه عند من يدخل بساتين معرفة الله، والكلام في جلاله على ضروبه وكثرة فنونه، فشبه الحق بالبدر، وشبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه، بما تحوي عليه الحضرة الإلهية من معارف الأسماء الإلهية وصفات الجلال والتعظيم، وفهمت منه في المنام من قوله: «إذا غاب البدر» وذلك شهود الحق في الأشياء والحضور معه والنية الخالصة فيه، كان ظلام الجهل والغفلة عن الله والخطأ، وخيف من اللصوص يريد الشبه المضلة، الطارئة لأصحاب النظر الفكري وأصحاب الكشف الصوري، فذكر ذلك خوفاً على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما يستحقه جناب الحق، فليدخل المدينة، يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر، وليلزم الجماعة وهم أهل البلد، فإن يد الله مع الجماعة، ثم رأيته ﷺ يتقلق قلقاً عظيماً بجميع أعضائه، لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المنزل من المعرفة، وكأننا في الليل والبدر طالع حتى كأننا منه في النهار، أرى البدر يضيء في كبد السماء، وقائل يقول: لم يُرَ رسول الله ﷺ في قلق عظيم لما يرد عليه من الله ويشهده، واستيقظت فقيدت الرؤيا في هذا المنزل، واستبشرت بما رأيته، لله الحمد على ذلك. (ف ح٢/ ٦٦٨)

رحمة رسول الله ﷺ للعالمين:

رأيت في الكشف الصحيح والمشهد الصريح، ورسول الله ﷺ معي، وقد أمر تعالى بقتل الدجال لدعواه الألوهية، وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله، وأنه ما بيده في ذلك من شيء، فبكاؤه ﷺ على ما سبق من العلم من شقاء الدجال وأبي لهب وأبي جهل، مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع. (ف ح٣/ ٤٩٧)

تنبيه على مخالفة شرعية:

لقد رأيت رسول الله ﷺ في النوم ميتاً، في موضع عاينته بالمسجد الجامع بإشبيلية، فسألت عن ذلك الموضع فوجدته مغصوباً، فكان ذلك موت الشرع فيه حيث لم يتملك بوجه مشروع. (ف ح٤/ ٣٠٢).

تنبيه وتحذير من فتنة القبر:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من

فتنة الـدجال» ثم استقبل الكعبة وحسر كُمَّيه عن ذراعيه، وفرش سجادة وصلى عليها ركعتين، وقمت عن يمينه وأدركت الركعة الثانية. (كتاب المبشرات).

تفسير قرآن:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: قوله تعالى ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إلى آخر الآية، ما هذه الشجرة؟ فقال: كنى عن نفسه سبحانه، لذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل، فهو الله خالق المواد وأصلها، ولولا هو ما كانت مادة، في كلام طويل وتفصيل واضح، وكان قبل أن يقول لي هذا الكلام يقول لي: أنت تعرف ما هي الشجرة، وما كان لي علم بها، فلما قال: أنت تعرفها، فكنت أقول له: نعم أعرفها وأحب أن أسمعها من فيك صلى الله عليك، وكان يقول ما ذكرته واستيقظت. (كتاب المبشرات)

نصيحة وعتاب:

لقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان، وكان قد بلغني عن رجل أنه يقع في الشيخ أبي مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنت اعتقد فيه على بصيرة، فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله ﷺ: لِمَ تكره فلاناً؟ فقلت: لبغضه في أبي مدين، فقال لي: أليس يحب الله ويحبني؟ فقلت: بلى يارسول الله إنه يحب الله ويحبك، فقال لي: لم بغضته لبغضه أبا مدين وما أحببته لحبه الله ورسوله؟ فقلت له: يارسول الله من الآن، إني والله زللت وغفلت، والآن فأنا تائب، وهو من أحب الناس إليّ، فلقد نبهت ونصحت صلى الله عليك ـ فلما استيقظت أخذت معي ثوباً له ثمن كبير، أو نفقة لا أدري، وركبت وجئت إلى منزله فأخبرته ما جرى، فبكى وقبل الهدية، وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله، فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين، مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح، فسألته، فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايا في عيد الأضحى، فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً، فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي، والآن قد تبت؛ فانظر ما أحسن تعليم النبي ﷺ، فلقد كان رفيقاً رقيقاً. (ف ح٤/ ٤٩٨)

تحريض على حفظ القرآن:

رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين، فقلت: من هؤلاء الذين يقرأون القرآن في مثل هذا الوقت، ولا خوف عليهم؟ فقيل لي: هم حملة القرآن، فقلت: وأنا منهم؛ فأدلي لي سلم، فرقيت فيه إلى غرفة في عليين، فيها كبار وصغار يقرأون على رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقعدت بين يديه وافتتحت قراءة القرآن آمناً لا أعرف خوفاً، ولا هولاً ولا حساباً، ولا أدري ما هم الناس فيه من الكرب في الحشر. (كتاب المبشرات ـ ف ح٤/ ٧٧)

ترغيب في قيام الليل:

رأيت كأني بمكة وكأني مع رسول الله ﷺ في دار واحدة، وبيني وبينه وصلة عظيمة، حتى كأني هو وكأنه أنا، وكنت أرى له ابناً صغيراً، وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه أحد ليراه، أخرج معه ذلك الصغير ليتبرك به الناس ويعرفوه، وكأن لذلك الصغير عند الله قدراً عظيماً، فبينا نحن قعود، وإذا بقارع يقرع الباب، فخرج إليه رسول الله ﷺ والصغير معه، ثم رجع إليّ وقال لي: «إن الله أمرني أن أمشي إلى المدينة وأصلي المغرب بشرقيها» ثم خرج، وأنا لا أفقده وعيني لا تزال عليه، وكأني ذاته، فلا أنا هو ولا أنا غير، فبينا هو بين مكة والمدينة، إذ رأى خيراً عظيماً ينزل، فقال: ياجبريل، ما هذا الخير العظيم الذي لم أرَ مثله؟ فقال: نزل من الفردوس الأعلى على المتهجدين، وأنّى يكون لك أن تكون منهم؟ ثم أخذ جبريل يثني على المتهجدين من الله تعالى بثناء ما سمعت مثله، وكان عليه الصلاة والسلام واللهِ من أعلاهم وأفضلهم، فعلمت أن ذلك في حقي، وقوله وأنّى يكون لك أن تكون منهم، خطاب يرجع إليّ، واستيقظت. (كتاب المبشرات)

كتاب فصوص الحكم:

رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الأخير من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه

واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منا كما أمرنا[1] (مقدمة فصوص الحكم)

فضل آدم لم يعم:

أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها أن فضل آدم لم يعم. (ف ح٣/ ٣٥٣)

اجتماع الشيخ بعيسى عليه السلام:

كنت كثير الاجتماع بعيسى عليه السلام في الوقائع، وعلى يده تبت، ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ودعاني بالحبيب، وأمرني بالزهد والتجريد. (ف ح٢/ ٤٩)

رؤية الشيخ لجميع الأنبياء وجميع المؤمنين:

أشهدني الحق أعيان رسله كلهم البشريين، من آدم إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين، في مشهد أقمت فيه في قرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة، ما كلمني أحدٌ من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام، فإنه أخبرني بسبب جمعيتهم، ورأيته عليه السلام رجلاً ضخماً من الرجال، حسن الصورة، لطيف المحاورة، عارفاً بالأمور، كاشفاً لها، وسألته عن مسألة فعرفني بها، فوقعت في الوجود كما عرفني بها[2]. (ف ح٣/ ٢٠٨)

(١) أثبت هذه الرؤيا كما جاءت في كتاب فصوص الحكم، وهذا الكتاب لم يذكره الشيخ في كتبه الثابت نسبتها إليه، وجاءت إشارة إلى هذا الكتاب في الديوان المنسوب إلى الشيخ رضي الله عنه، والديوان لم يأت ذكره في أي من كتب الشيخ الثابتة، فإذا صحت هذه الرؤيا، فهذا يعني أن كتاب فصوص الحكم الذي بين أيدي الناس، ليس هو الكتاب الذي كتبه الشيخ، فإن فيه الكثير مما يخالف آراء الشيخ ومذهبه، وما يناقض ما جاء في الكتب الثابتة مثل الفتوحات المكية، وكان أكثر اعتراض العلماء على الشيخ مبنياً على ما جاء في هذا الكتاب الموضوع، وهو يتعارض مع ما جاء في الرؤيا من قوله صلى الله عليه وسلم: اخرج به إلى الناس ينتفعون به؛ ويتعارض مع ما ذكره الشيخ عن كتاب الفصوص في الديوان من أنه مبني على الرمز واللغز، ويعجز عن فهمه الفطن اللبيب، وإما أن تكون الرؤيا مزورة ومدسوسة على الشيخ، حتى يتقبل الناس ما جاء في هذا الكتاب المدسوس على الشيخ، بما فيه من غث وثمين.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٢٨ طبعة أولى ـ ص ١٢٦ طبعة ثانية.

مبشرات أخرى

الأدب في الطواف:

رأيت ـ في واقعة ـ الناس بالحجر الأسود طائفين، وشرر النار يتطاير من أفواههم، فأولته كلام الطائفين في الطواف بما لا ينبغي. (ف ح١/ ٧٠٢)

الطبيعـــة:

بينا أنا أقيد مسألة من الكلام في الطبيعة، إذ غفوت فرأيت أمي وعليها ثيابٌ بيضٌ حسنةٌ، فحسرت عنها ذيلها إلى أن بدا لي فرجها، فنظرت إليه، ثم قلت: لا يحل لي أن أنظر إلى فرج أمي، فسترته وهي تضحك، فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسألة وجهاً ينبغي أن يستر، فسترته بألفاظٍ حسنةٍ بعد كشفه، قبل أن أرى هذه الواقعة، فكانت أمي الـطبيعـة، والفـرج ذلـك الوجه الذي ينبغي ستره، والكشف إظهاره في هذا الفصل، والتغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن، ستره بألفاظ وعبارات حسنة، ثم أني أيضاً كما أنا في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سِنَة، فرأيت كأني على فرس عظيم، وقد جئت إلى ضحضاح من الماء، أرضه حجارة صغار، فأردت عبوره، فرأيت أمامي رجلاً على فرس شهباء يعبر، وإذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة، لا يشعر بها حتى يغرق فيها، وإذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه، وقد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل فرسه، ثم خلص إلى الجانب الآخر، فنظرت من أين أعبر، فوجدت مبنياً عليه مجازاً، ذا أدراج من الجهتين للرجالة، لا يمكن للفرس أن يصعد عليه، فيصعد فيه بأدراج متقاربة جداً، وأعلاه عرض شبر، وينزل من الجانب الآخر بأدراج، فركضت جنب فرسي، والناس يتعجبون ويقولون: ما يقدر فرس على عبوره؛ وأنا لا أكلمهم، ففهم الفرس عني ما أريده

منه، فصعد برفق، فلما وصل إلى أعلاه وأراد الانحدار، توقف، وخفت عليه وعلى نفسي من الـوقـوع، فنزلت من عليه وعبرت، وأخذت بعنانه وما زال من يدي، فعبر الفرس وتخلصنـا إلى الجانب الآخر، والناس يتعجبون، فسمعت بعض الناس يقولون: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس، فقلت: ولو كان العلم بالثريا لنالته العرب، والإيمان تقليد، فكم بين عالم وبـين من يقلد عالماً، فقالوا: صدق، فالعربي له العلم والإيمان، والعجم مشهود لهم بالإيمان خاصة في دين الله، ورددت إلى نفسي، فوجدتني في مسألة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا، فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل. (ف ح٢/ ٤٣٠)

الدنيا أم رقوب[1]:

اعلمـوا أن الله تعـالى أطلعني في ليلة تقييدي باب مقام المراقبة ـ على أمر لم يكن عندي ـ في واقعة وقعت لي برزخية، قيل لي فيها: «ألم تسمع أن الدنيا أم رقوب» قلت: «نعم» قيل لي: «فاجعل لها فصلاً في هذا الباب» فاستخرت الله على ذلك ـ ثم كتب الشيخ فصلاً في مدح الدنيا من حيث أنها أم. (ف ح٢/ ٢٠٩)

مبشرة بخاتم الأولياء الخاص:

رأيت رؤيا لنفسي وأخـذتها بشرى من الله، فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ، حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام، فقال ﷺ: «مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشبه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط، وهو تشبيه في غاية الحسن، فإن مسمى الحائط هنا المشار إليه، لم يصح ظهوره إلا باللبن، فكان رسول الله ﷺ خاتم النبيين، فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، أرى فيما يرى النائم، الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب، لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفتت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي، هو إلى الركن الشامي

(١) أم رقوب: أم أمينة وحارسة لأولادها.

أقرب، فوجدت موضع لبنتين، لبنة فضة ولبنة ذهب، ينقص من الحائط في الصفين، في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أنظر، وأعلم أني واقف، وأعلم أني عين تينك اللبنتين، لا أشـك في ذلك، وأنهما عين ذاتي، واستيقظت، فشكرت الله تعالى وقلت متأولاً: إني في الأتباع في صنفي، كرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء عليهم السلام، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي، وما ذلك على الله بعزيز، وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، وأنه كان تلك اللبنة، فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سميت له الرائي من هو، فالله أسأل أن يتمها عليّ بكرمه، فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأن ذلك من فضل الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (ف ح١/ ٣١٨)

تأويل الـرؤيا ـ خاتم الأولياء[1] لابـد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تلك اللبنتين فيكمـل الحـائط، والسبب المـوجب لكونه يراها لبنتين، أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، ولابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول[2]. (فصوص الحكم/ حكمة شيثية)

العلم بالله:

قيل لي في واقعة: ما يُعلَم من الله وما يُجهَل؟ فقلت:

العـلـم بالله ديـني إذ أديـن به   والجهل بالعين إيماني وتوحيدي

---

(١) راجع خاتم الأولياء ـ كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر ص ٢٤٣ ـ ٢٤٨.

(٢) يريد قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ دون واسطة.

فقيل لي: صدقت، هذا قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ فما عندك في تجليه؟ فقلت:

في كل مجلى أراه حين أشهده ما بين صورة تنزيه وتحديد

فقيل لي: «سبحان من تنزه عن التنزيه بالتشبيه، وعن التشبيه بالتنزيه».

وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه، فغلب عليّ في تلك الحال شهوده سبحانه، فقلت:

رأيته في دملي فقلت داء معضل

لا راحة ترجى ولا ضر فقل ما أعمل

فقيل لي: «سلّم»[1] فقلت: «نعم المعلم» فسلمت وما تكلمت.

رأيت هذي الواقعة لكل علم جامعة

فما رأيت مثلها من العلوم النافعة

وخوطبت في سري فيها بأمور لا يمكنني إذاعتها، ولا تلتبس عليَّ بضاعتها، غير أن التجلي للبشر لا يكون إلا بالصور، والعمل الإلهي في البصر عند تعلق النظر، وقد عرفت فالزم. (ف ح١/ ٧٥١)

الصدق هو الإعجاز:

يقول الشيخ في القول المعجز: هو قول الحق والصدق، وكذا رأيته في الواقعة مثل القرآن، فهو الحجة من الكلام، وسألت في الواقعة عن الإعجاز، فقيل لي: لا تخبر إلا عن صدق وأمر واقع محقق، من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك، فإذا كان كلامك بهذه الصفة كان معجزاً ـ فاصدق في نطقك تكن المعجز، فأسهب بعد ذلك أو أوجز، فإن الغاية في الإعجاز، المبالغة في الإسهاب والإيجاز. (ف ح٢/ ١٢٨، ٥٠٥ ـ ح٤/ ٣٦٩)

الصدق صفة جامعة للشرف، عليه دلت المعجزات كلها، ولقد سألت عن صورة الإعجاز في القرآن، فقيل لي: كونه حق صدق، والمعارض صاحب تزوير، فالزم الصدق أيها السالك، ترى العجب العجاب في الدازين. (كتاب التراجم/ ترجمة نور الصدق)

(١) سلم الأمر لله.

أهل المقامات الأربعة :

اعلموا وفقكم الله، أني لما شرعت في الكلام على الباب السادس والسبعين، أُريت مبشرة، عرفت فيها أن الناس لابد أن ينزل بهم أمر إلهي عارض، يحتاجون فيه إلى حمل مشقة وجهد نفسي وحسي، وقيل لي: لا تغفل في كل باب أن تدرج فيه الحروف الصغار، وتبين أن بإشباعها تكون الحروف الثلاثة، التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين، وهي الحروف المركبة من علة ومعلول، ويكون كلامك فيها وإشارتك إلى الأربعة الأصناف، وهم العارفون الذين لهم العوارف الإلهية الوجودية الجودية في معرفتهم، وأهل المواقف عند الحدود الإلهية لتلقي الأدب بين كل مقامين، عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول ولا بالثاني، وهم أهل البرازخ، وكذلك أهل الوصال والأنس، تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام، كما تبين ما لأهل المواقف سواء، حتى لا يختلط على السالك، وكذلك أيضاً المنكرة أحوالهم، وهم الملامية الذين يعرفون ولا يُعرَفون، تميزهم من أهل عوارف المعارف، وتظهر ما لهم من الكمال، وهم العلماء بالله، فهؤلاء الأربعة لابد من تمشية أحوالهم في كل مقام، وهم العارفون، والملامية، وأهل الأنس والوصال، وأصحاب المواقف والقول وهم الأدباء، فإنك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله، والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلما فرغ وارد البرزخ في الواقعة، قمنا من مرقدنا وسألنا الله تعالى العصمة في القول والعمل والحال، وكنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج، وهو الذي كان ينبهني عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار، التي تتولد عنها حروف العلل الثلاثة. (ف ح٢/ ١٤٤)

مقام النبوة والرسالة مغلق :

مقام النبوة والرسالة سهل المرتقى، صعب النزول عنه، وهكذا رأيته في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب ـ ثم فصل الشيخ شرحه[1] ـ فما تكلمنا إلا بما شاهدناه في الواقعة، ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقاً على يميني، والمعراج بأدراجه منه إلى الطريق

(١) راجع الفتوحات المكية ج ٢ باب ١٥٥ ص ٢٥٣.

الشـارع الذي يمشي الناس عليه، وأنا عند الباب واقف، وليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقـام لأحـد، إلا ما في داخـل ذلك المغلق الموثق الغلق، ومع غلقه ما ينحجب عني ما وراءه، إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف، ولقد طلع إليّ شخص، فلما وصـل بسهولة ورآه، توعر عليه النزول وحار، ولم يقدر على الثبات فيه، فتركني وسلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع، وراح وتركني راجعاً، واستيقظت على هذه الحالة، فقيدت ما أودعته في هذا الباب. (ف ح٢/ ٢٥٣)

التفاضل في العالم:

ولقـد رأيت في حين تقييدي للتوحيد الثالث والعشرين ـ الذي يعطي التفاضل واقعـة عجيبـة، أعطيت رقاً منشوراً، عرضه ـ فيما يعطي البصر ـ ما يزيد على العشرين ذراعاً، وأما طوله فلا أحققه، وهو على هذا الشكل المصور في الهامش(١)، وهو جلد واحد، جلد كبش، تنظره فتراه أبيض عند القراءة، وتنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر، فإذا قرأته تراه جلداً، وإذا لم تقرأه تراه شقة، لا أدري حريراً أو كتاناً، وهو صداق أهلي، فيقال لي: هذا صداق إلهي لأهلك، ولا أسأل عن الزوج، ولا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي، وأنا فارح بهذا الأمر مسرور غاية السرور، ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب، كأنها منه تكونت، فيها ألف دينار ذهباً عيناً، كل دينار ثقيل، لا أدري ما وزنه، فيقال: قسمه على أهلها، خمسة دنانير لكل شخص، فأول ما آخذ أنا منها خمسة دنانير، عليها نور ساطع، أعظم من ضياء أضوأ كوكب في السماء له شعاع، وأرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي، ما كتابها غيرها، وأنا بكل جسمي راقد عليها متكيء، فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب، فأجده بخط زين الدين بن شداد، والصداق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ، تسجيعاً واحداً على روي الراء المفتوحة والهاء، فضبطت منه بعد البسملة: الحمد لله الذي جعل قرآنه وفرقانه وتوراته وإنجيله وزبورَه، رقوم هذا الكتاب المكنون وسطورَه، وأودعه كل آية في الكتب وسورَة، وأظهره في الوجود في أحسن صورَة، وجعل أعلامه في العالم

---

(١) في المخطوط الأصلي للفتوحات المكية.

العلوي والسفلي مشهورَة، وآياته غير متناهية ولا محصورَة، وكلماته بكل لسان في كل زمان وغير زمان مذكورَة؛ هكذا على هذا الروي إلى آخره ـ إن كان له آخر ـ بخط مثل الذر، فلما رددت إلى حسي، وجدتني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد، وإذا به توحيد الاختيار، فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل، وأن لأهلي من هذا الفصل أوفر حظ وأعظم نصيب، وتعجبت من اسم أهلي في الواقعة واسمها مريم. (ف ح٢/ ٤١٦)

إقامة الدين:

لما قيدت هذا الوصل ـ وذكره الشيخ ـ غفوت غفوة فرأيت في المبشرة يتلى عليّ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾. (ف ح٣/ ٣٦٨)

السجـــود:

رأيت عيناً من لبن حليب، ما رأيت لبناً مثله في البياض والطيب في جرمه، دخلت فيه حتى بلغ ثدييّ وهو يتدفق، فتعجبت لذلك، وسمعت كلاماً غريباً إلهياً يقول: من سجد لغير الله عن أمر الله، قربة إلى الله طاعة لله، فقد سعد ونجا[1]، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله، قربة إلى الله، فقد شقي[2]. (ف ح٣/ ٣٦٧)

سر حذف واو العطف:

لقد رأيت في هذا الوصل مشهداً هالني في الواقعة، وتليت عليّ سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات، عرضاً عليّ، فكان من صورة ما تلته ﴿ثلة من الأولين ثلة من الآخرين﴾ بحذف واو العطف، ولم يكن عندي من ذلك سر قبل هذا، فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل، فرجعت إلى نفسي وعلمت ما نبهني الحق به في ذلك الحذف

---

(١) قال تعالى للملائكة ﴿إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وسجود يعقوب وأولاده ليوسف عليهم السلام.

(٢) قال المشركون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

من الاقتطاع بين العالم، فإذا جاء بالواو راعى ما يقع فيه الاشتراك في الصورة الظاهرة والمفهوم الأول، وإذا أزال الواو راعى ما يقع به التمييز والانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء، لأنه لا حقيقة له إلا بما يتميز به، فعلمت ما أراد بحذف الواو مَنْ نطّقها بذلك، وهو الله. (ف ح٣/ ٣٨٦)

القيوميـــة:

في ليلة تقييدي هذا الوجه في باب حضرة القيومية، أريت في النوم ورقة زنجارية اللون، جاءت إليّ من الحق، مكتوبة ظهراً وبطناً بخط خفي، لا يظهر لكل أحد، فقرأته في النوم لضوء القمر، فكان فيه نظماً ونثراً، واستيقظت قبل أن أتم قراءته، فما رأيت أعجب منه ولا أغمض في معانيه، لا يكاد يفهم، فكان مما عقلت من نظمه ما أذكره، وكان في حق غيري، كذا قرر لي في النوم، وذكر لي الشخص الذي كان في حقه فعرفته، وكأني في أرض الحجاز في برية ينبع بين مكة والمدينة:

إذا دل أمـر الله في كل حالـة ... على العزة العظمى فما ينفع الجحد
وجـاء كتـاب الله يخبر أنـه ... من الله تحقيقـاً فذلكم القصـد
ولله عين الأمـر من قبـل إذ أتـى ... إليّ بما يجريـه فيـه ومـن بعـد
فسبحـان مَنْ حيي الفؤاد بذكـره ... فكـان له الشكـر المنـزه والحمـد
إذا كان عبـدي هكـذا كنت عينه[1] ... وإن لم يكـن فالعبـد عبـدك ياعبـد[2]

وأما النثر فأنسيته لما استيقظت، إلا أني أعرف أنه كان توقيع من الحق لي بأمور أنتفع بها، هذا جل الأمر، وهي في خاطري مصورة من أسباب الدنيا يتسع فيها رزق الله، ويشكر الله تعالى من كان ذلك على يده ويثبته، والله على ما نقول وكيل. (ف ح٤/ ٢٩٢)

الاعتماد على الله تعالى:

عند تقييدي وجه الاعتماد على الله لا على الأسباب، وعدم الركون إليها بالقلب

---

(١) يشير إلى ما جاء في الحديث «فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به».

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة. . » الحديث، فكل مخلوق مَلَكَك فأنت عبد له، والكل عبيد الله.

واطمئنان النفس، نمت ثم رجعت إلى نفسي وأنا أنشد هذين البيتين، لم أكن أعرفهما قبل ذلك:

لا تعتمد إلا على الله فكل أمر بيد الله
وهذه الأسباب حجّابه فلا تكن إلا مع الله

(ف ح٤/ ٤٥٨)

أصل كل شيء آدمه:

لقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم، وأنا طائف بالكعبة، مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم، فأنشدونا بيتين، ثبت عليّ البيت الواحد ومضى عني الآخر، فكان الذي ثبت عليّ من ذلك.

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طراً أجمعينا

وخرج عني البيت الآخر، فتعجبت من ذلك، فقال لي واحد منهم، وتسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم، ثم قال لي: أنا من أجدادك، قلت له: كم لك منذ مت؟ فقال لي: بضع وأربعون ألف سنة، فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين، فقال لي: عن أي آدم تقول، عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ﷺ «أن الله خلق مائة ألف آدم» فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك، والتاريخ في ذلك مجهول[1] مع حدوث العالم بلا شك، فإن العالم لا تصح له رتبة القِدَم. (ف ح٣/ ٥٤٩)

وقوع شدة بالناس:

ولقد رأيت هذه الليلة في واقعتي ما شيب سالفتي، وقد نظمت ما رأيته، وفي هذا الباب كتبته، وفي النوم قلته:

لابد من خوف ومن شدة لابد من جور ومن عسف
في حلب من حكم جائرٍ في حكمه يمشي إلى خلف
ينـزل من قلعتها راجلاً من غير نسك لا ولا عطف

---

(١) راجع كتابنا الخيال ـ اجتماع الشيخ بإدريس عليه السلام ص ١٠٠.

كأنـه الحجـاج في حكمـه ... يحكـم بالقهـر وبـالعنف
يجور في الخلق بأحكـامـه ... يفـرق الإلـف من الإلـف
قد نزع الـرحمن من قلبـه ... رحمتـه وقـدر ذا يكـفـي
في صورة الحجـاج أبصرته ... لا بل هو الحجاج فاستكف
بالـواحـد الـرحمن من شره ... ما خاب مَنْ بالله يستكفي

لكن عسى الله أن يجعل سطوته على أهل العناد من أهل الإلحاد، وكانت عليه غفارة حمراء وهو يتمايل تمايل سكرى، فأرجو لكونه فاضلاً أن يكون عادلاً، فإنه نزل راجلاً، وبيده عصاه، يستعين بها على من خالف أمر الله تعالى وعصاه، جعله الله تأويلاً صادقاً، ولسان حق ناطقاً، فتعوذنا حين انتبهنا من شر ما رأينا، كما أمرنا ﷺ ونقلنا، وتحولنا كما عَلَّم.

(ف ح٤/ ٣٥٤)

إلهيـــات:

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في النوم في الإلهيات:

غزال من الفـردوس بات معانقي ... فُقبـلني وداً فتـم مرادي
له زينـة الأسـماء أسـماء خالقي ... عليـه من الأثـواب ثوب حدادِ
من أجل الذي قد بات فيه مهيّاً ... ضحـوكـاً للقيـاه صحيح ودادِ
تراه مع الأنـفـاس يتلو كتـابـه ... بعـبرة محزونٍ حليـف سهـادِ
يقـوم بأمـر الله إذ قال قم به ... بطاعـة مهـديٍّ وسـنـة هادي

(الديوان/ ٢٣٤)

وقال في الإلهيات أيضاً في النوم:

الأمـر أعـظم أن يحظى به أحـد ... فما له في وجـود الـعلم مستنـد
جاء الحـديث فما تدرى حقيقتـه ... ولا يُعـيِّـنهـا فكـر ولا سنـد
والـكشف ليس له فيهـا مداخلة ... لأنــه بوجـود الـصـور ينـفـرد
أمـر الإلـه كما قد جاء واحـدة ... والـعبـد من سره بالحق متحـد
فما ترى جسـداً إلا ويـعـقبـه ... إذا مضى عينـه من حينـه جسـد

(الديوان/ ٢٣٤)

موعظـــة:

وقال رضي الله عنه في زلزلة رآها في النوم:

رأيـت زلــزلـة عظمى منبهـة على أمـور عظام كدت أخـفيهـا
في برزخ من برازخ الكرى ظهرت آثـارهـا وهـو حالي قد بدا فيهـا
بدا لشـاهـد عيني عين صورتـه تراه ياليت شعـري هل يوافيهـا
قالت خواطـرنـا من فوق أرقعـة تحريـك أفـلاكنـا منّا يكـافيها
لو كان يصفـو لنـا في حال رؤيتنا إيـاهـا خاطـرنـا كنـا نصـافيها
لكـنهـا مرضـت نفسي لرؤيـتهـا وقـد سألـت إلهي أن يعـافيهـا
شافهتهـا ومـرادي أن أذكّـرهـا بما لها عنـدنـا من في إلى فيـهـا
تحرك الجـسم مني في تحركـهـا بسـجـدةٍ لأمـور لا تنـافـيهـا
وكـان فيـما بدا مني لما قصـدت من المـواعظ والـذكـرى تلافيها

(ديوان/ ٢٣٧)

حسن الرجاء بالله:

رأيت ليلة الجمعة سابع وعشري صفر، سنة إحدى وثلاثين وستمائة في النوم، كأني واقف على قبر داثر، وورقة في جدار كان للقبر، فيها مكتوب ـ على لسان صاحب القبر ـ بكتابة إلهية بيتان، من قصيدة كنت أحفظها لبعضهم وهما:

حاسـبـونـا فدقـقـوا قيـدونـا فأوثـقـوا
نظروا في صنـيـعـنـا ثم مَنّـوا فأعـتـقـوا

والناس وقوف على القبر يبكون بكاء فرح بالله، لما مَنَّ به على صاحب ذلك القبر، فكنت أقول: لو قال هذا الشاعر مثل ما وقع لي الآن:

حاسـبـونـا ما دقـقـوا قيـدونـا ما أوثـقـوا
نظروا في ذنـوبـنـا ثم مَنّـوا فأطـلقـوا
إن ظني وخـاطـري في إلهـي محقـق
أن من مات محسـنـاً ليس بالـنـار يحرق

فاستيقظت فما فرحت بشيء فرحي بهذه المبشرة. (الديوان/ ٢٧٧)

حشر الأجسام على غير مثال سبق:

يقول الشيخ رضي الله عنه: أكثر هذه القصيدة وقع مني في النوم، وأتممتها في اليقظة:

قد صح عندي خبر وجل عندي من خبر
ليس لنا إعادة فيما انقضى وما غبر
من صور معلومة محسوسة من البشر
لأنها على مزا ج كله مزاج شر
وإنما إعادتي في مثلها من الصور
على مزاج صالح ما فيه شيء من ضرر
من صور مشهودة فيهن نحيا ونسر
في فرش مرفوعة منضودة وفي سرر
ملكاً إماماً سيداً مدبراً لمن نظر
وهي الذوات عينها المودعات في الحفر
لم تلحق الذات إذا نظرت فيها من غير
وإنما مزاجها من يعتبره لم يحر
لله في هذا الذي أقوله معنى وسر
يَفْرَق منه ذو حجى إذا به الحق ظهر
فالحمد لله الذي أشهدني هذا الخبر
في نومنا وعندنا محمد إسفندير
وامرأة مؤمنة الوجهُ منها كالقمر
ياحسنها من غادةٍ فتانةٍ لمن نظر
فديتها معشوقة بالسمع مني والبصر
في صورة الحق أتت مع الدلال والخفر
يستصرخ الشخص الذي أراد أن يُعطى الوطر

منهـا فلم يحفـل به ... ولا على النيـل قدر
ما يفعـل المسكين إذ ... لم يُنْجِه منهـا الحذر
قالـت له انــزل إلى ... مَنْ قد نهانـا وأمـر
إلى هنــا كان الـذي ... أُريتـه حتى السحـر

(الديوان/ ٣٠٩)

تجليات إلهية :

وقال أيضاً:

رأيـت جاريـة في الـنـوم عاطـلةً[1] ... حسـنـاء ليس لها أخت من الـبشر
ترنـو إليّ بعـين كلهـا حور ... فمتُّ وجـداً بها من ذلـك الحـور
لما نظرت إلـيـهـا وهـي تنـظرني ... فنـيـت حبـاً لها من لذة الـنـظر
وقلت للنفس يانفس انـظري عجباً ... هذا الخيـال فكيف الحس يابصري
انـظر إلى لطفـه وحسـن صورتـه ... بالـفـنـاء لا بإلى من حضرة الـفـكـر
ولـتـعـتـبره وجـوداً لم يقـم عدم ... به ولا ندم من صورة الـبشر
فإنها جنـة المـأوى لسـاكـنهـا ... وجنـة الخلد لا من جنـة النـظر
وتـلك جنـة عدن والـكـثـيـب بها ... مع الـذي يحتـوي عليـه من صور
هذي المعـاني التي الأفكـار تطلبهـا ... وهي التي نال أهـل الكشف بالنـظر
فأين غايتـهـم فيـما ذكـرت لكـم ... هذي الـروائح من مسك لهم عطرِ

(الديوان/ ٣١٠)

وقال الشيخ قدس الله سره العزيز قصيدة، جُلُّها في المنام، لحقيقة إلهية تجلت له في نومه، وكانت له بنت ماتت فأنزلها بيده في لحدها، فسئل في النوم عن ذلك فقال:

لحدت بنـتي بيـدي ... لأنها ذو جسـدي
أنـا على حكـم الـنـوى ... فليس شيء بيـدي

(١) عَطِلت المرأة بكسر الطاء إذا لم يكن لها حُليّ.

مقيد في وقتنا ما بين أمسٍ وغد
جسمي لجين خالص حقيقي من عسجد
كالقوس نشئي ولذا عين قوامي حَيَدي
يقول ربي إنه خلقني في كَبَد
فكيف أرجو راحةً ما دمت في ذا البلد
لولاه ما كنت أنا ذا والد وولد
ولم يكن لي كفؤاً كخالقي من أحد
فالنعت نعت واحد في عين ذات العدد
وإنني لخالقي في خلقنا كالعدد
فحُلْ إلهي بيننا في الكون لا المعتقد
بنشأة ثابتة يصح منها سندي
في أنني مثلكمو وأنت لي مستندي
بالفرض لا أني أنا مثلٌ وهذا رشدي
نفيت عني المثل في شورى[1] وذا معتقدي
وجنتي عالية مع الحسان الخرد [2]
وإنما قال به كمالنا في المقصد
طبيعة الكون له أهل وعين الأحد
بعل لها فاجتمعا على وجودي وقد
ما قلت ذا عن نظرٍ قد قام بي في خلدي
وإنما قرره عندي رسول الصمد
فكان يملي وأنا أكتب عنه بيدي

(١) يعني قوله تعالى في سورة الشورى ﴿ليس كمثله شيء﴾ فالكاف كاف الصفة هنا.

(٢) الخرد: جمع خرود وهي البكر لم تمس، الخفرة الطويلة السكوت، الخافضة الصوت المستترة.

وهكذا الأمر ولا يعرفه من أحد
غير إمام سابق بالخير أو مقتصد
والغير لا يعرفه في الحال بل في الأبد
وكل فرع راجع لأصله لم يزد

(الديوان/ ٣٤٠)

وقال أيضاً في مبشرة رآها، قال أول بيت من هذه القصيدة في النوم، ولما استيقظ وجد لسانه ينطق بالأبيات كلها:

بنفسي الذي يلقى المُحِقُّ وما لقي ولم يبق منه في الشهود وما بقي
لو ان الذي عندي يكون بخلقه من العلم بي لم يبق في الملك من بقي
لقد نظرت عيني إليه وإنَّه ليلقى الذي قد قيل لي إنه لقي
ألا ليت شعري هل أرى اليوم من فتى صحيح الدعاوى بالصواب مُنَطَّقِ
رحيم رؤوف عاطف متعطف ولوع بذكراه على الخلق مشفق
بلفظ تراه في الحقيقة معجزاً لزُور الذي يأتي به الخصم مزهق
يناضل عن أصل الوجود بنفسه يباري رياح الجود جوداً ويتقي
حذاراً عليه أن يحوز مقامه سواه بتأييد وغيرة مشفق
لقد جهل الأقوام قولي ومقصدي ولم يدر ما قلناه غير محقق
عساه يرى في جَوّه من فريسة فليس يرى التقييد إلا بمطلق
لقد رام أمراً ليس في الكون عينه بنقص وتقريب كسير المحقق
ولما رأى أن لا وصول لما ابتغى وأن الذي قد رام غير محقق
أتى لفظ لا أحصي[1] يجر ذيوله بقوة قهار بعجز مصدق
لقد صار ذا علم لما كان جاهلاً به وهو نفي العلم فانظر وحقق

(الديوان/ ٤٢٠)

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

شرح الصلاة الإبراهيمية في الواقعة :

قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ فسأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، فهذا يدلك على اختلاف الصلاة الإلهية ، لاختلاف أحوال المصلى عليهم ومقاماتهم عند الله ، ويظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله ﷺ إذ طلب أن يصلى عليه مثل الصلاة على إبراهيم ، فاعلم أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ ، ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن ، وجاء الإعلام في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه ، بزيادة الصلاة على الآل ، فما طلب ﷺ الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانهما ، فإن العناية برسول الله ﷺ أتم ، إذ قد خص بأمور لم يخص بها نبي قبله ، لا إبراهيم ولا غيره ، وذلك من صلاته تعالى عليه ، فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه؟ وإنما المراد من ذلك ما أبينه إن شاء الله ، وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه ، ومن حيث ما يضاف إليه غيره ، فكانت الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره ، هي الصلاة من حيث المجموع ، إذ للمجموع حكم ليس للواحد إذا انفرد ، واعلم أن آل الرجل في لغة العرب ، هم خاصته الأقربون إليه ، وخاصة الأنبياء وآلهم ، هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون ، وقد علمنا أن إبراهيم كان من آله أنبياء ورسل لله ، ومرتبة النبوة والرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا ، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ في أمته ، نبي يشرع الله له خلاف شرع محمد ﷺ ولا رسول ، وما منع المرتبة ولا حجرها من حيث لا تشريع ، ولاسيما وقد قال ﷺ فيمن حفظ القرآن ، إن النبوة أدرجت بين جنبيه ، أو كما قال ﷺ ، وقال في المبشرات : إنها جزء من أجزاء النبوة ، فوصف بعض أمته بأنهم قد حصل لهم المقام ، وإن لم يكونوا على شرع يخالف شرعه ، وقد علمنا بما قال لنا ﷺ ، أن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ولا نشك قطعاً أنه رسول الله ونبيه ، وهو ينزل ، فله عليه السلام مرتبة النبوة بلا شك عند الله ، وما له مرتبة التشريع عند

نزوله، فعلمنا بقوله ﷺ: «إنه لا نبي بعدي ولا رسول، وإن النبوة قد انقطعت والرسالة» إنما يريد بهما التشريع، فلما كانت النبوة أشرف مرتبة وأكملها، ينتهي إليها من اصطفاه الله من عباده، علمنا أن التشريع في النبوة أمر عارض، بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً من غير تشريع، وهو نبي بلا شك، فخفيت مرتبة النبوة في الخلق بانقطاع التشريع، ومعلوم أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده، مثل إسحق ويعقوب ويوسف ومن انتسل منهم، من الأنبياء والرسل بالشرائع الظاهرة، الدالة على أن لهم مرتبة النبوة عند الله، فأراد رسول الله ﷺ أن يلحق أمته، وهم آله العلماء الصالحون، بمرتبة النبوة عند الله وإن لم يشرعوا، ولكن أبقى لهم من شرعه ضرباً من التشريع، فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» أي صل عليه من حيث ما له آل، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، أي من حيث أنك أعطيت آل إبراهيم النبوة تشريفاً لإبراهيم، فظهرت نبوتهم بالتشريع، وقد قضيت أن لا شرع بعدي، فصل عليّ وعلى آلي بأن تجعل لهم مرتبة النبوة عندك وإن لم يشرعوا، فكان من كمال رسول الله ﷺ، أن ألحق آله بالأنبياء في المرتبة، وزاد على إبراهيم بأن شرعه لا ينسخ، وبعض شرع إبراهيم ومن بعده، نسخت الشرائع بعضها بعضاً، وما علّمنا رسول الله ﷺ الصلاة عليه على هذه الصورة، إلا بوحي من الله وبما أراه الله، وأن الدعوة في ذلك مجابة، فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله، لا في التشريع، ولهذا بيّن رسول الله ﷺ وأكد بقوله: «فلا رسول بعدي ولا نبي» فأكد بالرسالة من أجل التشريع، فأكرم الله رسوله ﷺ بأن جعل آله شهداء على أمم الأنبياء، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم، ثم أنه خص هذه الأمة أعني علماءها، بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام، وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم، وتعبدهم به وتعبد من قلدهم به، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم، ولم يكن مثل هذا لأمة نبي ما لم يكن نبياً بوحي منزل، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم، كما قال لنبيه ﷺ ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده، فهذه نفحات من نفحات التشريع ما هو عين التشريع، فلآل محمد ﷺ وهم المؤمنون من أمته العلماء، مرتبة النبوة عند الله، تظهر في الآخرة وما لها حكم في الدنيا، إلا هذا القدر من

الاجتهاد المشروع لهم، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله، فإن اتفق أن يكـون أحد من أهل البيت بهذه المثابة، من العلم والاجتهاد، ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجعفر وغيرهم من أهل البيت، فقد جمعوا بين الأهل والآل، فلا تتخيل أن آل محمد ﷺ هم أهل بيته خاصة، ليس هذا عند العرب، وقد قال تعالى ﴿أدخلوا آل فرعون﴾ يريد خاصته، فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة، فلهذا قيل لنا: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم» أي من حيث ما ذكرناه، لا من حيث أعيانهما خاصة دون المجموع، فهي صلاة من حيث المجموع، وذكرناه لأنه تقدم بالزمان على رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة، ومن كان بهذه المثابة عند الله، كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانهما؟ فلم يبق إلا ما ذكرناه، وهذه المسألة هي عن واقعة إلهية من وقائعنا، فلله الحمد والمنة، وهذه مسألة عظيمة الخطر جليلة القدر، لم نرَ أحداً ممن تقدمنا تعرض لها، ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة، إلا إن كان وما وصل إلينا، فإن لله في عباده أخفياء لا يعرفهم سواه، فصلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم، فالله يجعلنا من أجلهم عنده قدراً، ولا يحول بيننا وبين عبوديتنا، وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي: اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمته، كما صليت على آل إبراهيم بأن جعلت آله أنبياءَ ورسلاً في المرتبة عندك، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، بما أعطيتهم من التشريع والوحي؛ فأعطاهم الحديث فمنهم محدثون[1]، وشرع لهم الاجتهاد وقرره حكماً شرعياً، فاشبهت الأنبياء في ذلك. (ف ح ١/ ٥٤٤)

مبشرة تحرض على الرغبة في دعاء الصالحين رضي الله عنهم:

دخلت بإشبيلية على الشيخ الورع الصالح، أبي عمران موسى بن عمران المرتلي، فأخبرته بأمر سر به واستبشر، فقال لي: بشرك بالجنة كما بشرتني، فلم تمض أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام، ممن كان قد مات، فقلت له: كيف حالك؟ فذكر خيراً في كلام

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم.

طويل وقصة طويلة، ثم قال لي: وقد بشرني الله بأنك صاحبي في الجنة، فقلت له: هذا في المنام فهات الدليل على قولك، فقال: نعم، إذا كان في غد عند صلاة الظهر، يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فلما أصبح وما ثَمَّ أمر يوجب عندي شيئاً من ذلك، فلما صليت وإذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا؛ فاختفيت خمسة عشر يوماً حتى ارتفع ذلك الطلب. (كتاب المبشرات)

تفسير للقرآن في مبشرة: قصة هاروت وماروت:

ترجمتي على مسألة هاروت وماروت، علمتها في النوم في رؤيا رأيتها، فوقفت عندها، وجاءت الترجمة عن الكلام مطابقة له ـ وهذه هي الترجمة:

قال تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾.

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ من السحر والشعوذة ﴿على ملك سليمان﴾ على عهد سليمان أي في زمن ملكه ﴿وما كفر سليمان﴾ أي لم يكن علمه سحراً ولا شعوذة، بل علمه حق من عند الله، ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بما دونوه من السحر ﴿يعلمون الناس السحر﴾ وخلطوه بـ ﴿ما أنزل على الملكين﴾ الأمرين معاً ممزوجاً ﴿ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة﴾ فإذا أتى السائل إلى الملكين ليعلماه، يقولان له ﴿إنما نحن فتنة﴾ أي إنما أنزلنا للتعليم اختباراً، فإن الشياطين يعلمون الناس السحر ممزوجاً بما أنزل علينا ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تأخذ من الشياطين، فإنك لا تفرق بين الحق من ذلك والباطل، ثم قال ﴿فيتعلمون﴾ يعني الناس ﴿منهما﴾ أي من **العِلْمين** علم السحر والعلم الذي أنزل على الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء﴾ الرجل ﴿وزوجه﴾ أي امرأته، وإنما قبله منهم المتعلم لأمرين، الواحد لامتزاجه بالحق الذي أنزل على الملكين، فإن الشياطين تتصور في صور علمائهم وتقول لهم: هذا هو الذي أنزل على الملكين، فيصدقونهم فيلقون إليهم ما

يضرهم ولا ينفعهم من علم السحر، وأما من اقتصر على الملكين ولم يتعدهما، فما علم إلا حقاً منزلاً من عند الله، وما نزل من عند الله لا يكون كفراً وضلالاً، وهو قوله: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾، ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ وكل لفظة كفر في هذه القصة قد تكون ضد الإيمان، وقد يكون بمعنى ستر الحق، فإن الكفر الستر في اللغـة، وكلا الوجهين في الترجمة عن ذلك صالح، ثم قال: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ يناقض قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ بعد هذا فيما يظهر، فقوله ﴿ولقد علموا﴾ يعود الضمير على من سأل الملكين، فقالا له لا تكفر ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ فإن من كفر لا خلاق له في الآخرة، فكأنهم قالوا: نحن نتعلم منهم ذلك ولا نعمل به، فإن العلم بالشيء يورث التـوقي مما فيه من الضرر لمن جهله، فلما علمـوه قامت لهم الأغراض وطلبُ الرئاسة، وتحصيلُ ما يشتهون بهذا العلم، فعملوا به فكفروا، فهو قوله ﴿ولبئس ما شروا به﴾ أي باعوا به ﴿أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ أن ذلك يقودهم إلى العمل، لما في طيه مما في علمه مِنْ تَقَدُّمِهم على أبناء جنسهم، وقد بان المقصود من الآية على غاية من الاختصار، ونزهنا الملائكة، فإن الله قد أثنى عليهم، وما بلغنا قط عن الله تعالى أنه جرح أحداً من الملائكة ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ قد يعود الضمير في آمنوا على الذين سألوا الملكين وما سمعوا منهم، ولا اتقوا الله حين قالوا لمن سألهم ﴿لا تكفر﴾ باتباع الشياطين، لأنهم خلطوا الحق بالباطل، فقال الله فيهم ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ أي صدقوا الملكين ﴿واتقوا﴾ واتخذوا ما قالاه لهم وقاية ﴿لمثوبة﴾ لحصلت لهم من ذلك مثوبة من الله ﴿من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ وقد يحتمل أن يعود الضمير على اليهود في الإيمان بمحمد ﷺ

(إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن)

رؤية الشيخ الحق في المنام

أمر الحق الشيخ بالنصيحة:

الله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه ﷺ، بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، خطاباً عاماً، ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة، بمكة وبدمشق، فقال لي: «انصح عبادي» في مبشرة أُريتها، فتعين عليّ الأمر أكثر مما تعين على غيري، فإني رأيت وأنا بحرم مكة في المنام، كأن القيامة قد قامت، وكأني واقف بين يدي ربي مطرقاً، خائفاً من عتابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جل جلاله: «ياعبدي لا تخف، فإني لا أطلب منك عملاً إلا أن تنصح عبادي، فانصح عبادي» - وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزاً، تكاسلت وعزمت تلك الليلة أن اشتغل بنفسي، وأترك الخلق وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤية، فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكل قام عليّ وسعى في هلاكي، فنصر الله عليهم وعصم فضلاً منه ورحمة.

(ف ح ١/ ٣٣٤، ٦٥٨ - كتاب المبشرات)

ولذلك يقول رضي الله عنه في ديوانه:

فمن يرد يمتاز في أهله	فليمش بالحال على إثري
فإنه الحق الذي قال لي	انصح عبادي وامتثل أمري
بمكة في حالة تقتضي	في وقتها القبض على العسر
وفي دمشق قال لي مثله	في مرة أخرى على سري
فقلت يارب أعنّي على	ما قلت لي فقال بالنصر

فلم يزل في نصرتي قائماً — في كل حال دائم البِشْرِ
وقال لي تمم ما بدأتم به — من الفتوحات على قدر
على لسان المصطفى أحمد — ولم ينب عني في العذر
فإن فيها سبباً مقلقاً — يضيق من إيراده صدري
فقال لي لا تلتفت إنني — مزيل ما تخشى من الضر
أيدك الله فكن آمناً — ولا يكن قلبك في ذعر
فقمت بالعلم لهم مفصحاً — مبيناً في السر والجهر
أورده من غير كيل له — كأنما آخذ من بحر

رأيت رب العزة في المنام ـ قبل أن يظهر عني شيء من الكلام ـ وهو يقول: «ياعبدي انصح عباد» فتكلمت حينئذ، وألفت في حقائق النصح أموراً كلية يعم نفعها، ويأخذ كل قابل قسطه منها، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت: إنما المقصود انتفاع الناس، سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرف، فلما انتشر ذلك، نُسِبَ الكلام للغزالي رحمه الله، وصار يُلْعَن من بعض الناس بسببها، فلما بلغني ذلك، قلت: الآن تعين إظهار اسمي عليها، لأكون وقاية لرجل مسلم يُظْلَم بسببي، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلني الناس بسهام أغراضهم، وظنوا فيّ الظنون، وأنا صابر عليهم، داعٍ لهم، ناظراً إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله، فرأيت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيدي، أمرتني أن أنصح عبادك فامتثلت، ونصحت ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم، فسمعته سبحانه يقول ﴿وكذب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ فاسترسلت على الأصل الذي أمرت به، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء، ويصرف عن الانتفاع من يشاء، هذا في حكم العموم، وأما الخصوص، فإن الله أسمعهم النصح، وأعانهم على الترقي به وتمام الفتح.

(كتاب النجاة عن حجب الاشتباه)

ويقول رضي الله عنه في كتابه مواقع النجوم، الذي ألفه بالمرية سنة خمسة وتسعين وخمسمائة: إنه يغني عن الأستاذ، بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذين منهم العالي

والأعلى، وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه، ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها، فمن حصل لديه، فليعتمد بتوفيق الله عليه، فإنه عظيم المنفعة، وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها، والله الموفق وبيده الهداية، وليس لنا من الأمر شيء.

مبشرة في كرم الحق وحسن الظن به:

لقد أشهدني الحق في سري في واقعة، وقال لي: بلغ عبادي ما عاينتَه من كرمي بالمؤمن، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، والسيئة لا يقاوم فعلها الإيمان بها أنها سيئة، فما لعبادي يقنطون من رحمتي، ورحمتي وسعت كل شيء، وأنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي خيراً. (ف ح١/ ٧٠٨)

اتخاذ الحق وكيلا:

لقد رأيت الحق سبحانه وتعالى في النوم، فقال لي: «وكلني في أمورك» فوكلته، فما رأيت إلا عصمة محضة، لله الحمد على ذلك، وخاطبني الحق في سري «من اتخذني وكيلاً فقد ولاني، ومن ولاني فله مطالبتي، وعليّ إقامة الحساب فيما ولاني فيه». (ف ح٢/ ٢٦٤، ٣٧١)

تسمية الحق للشيخ بممسوك الدار:

في واقعة، رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الأبيات، وسماني باسم، ما سمعت به قط إلا منه تعالى في تلك الواقعة، وهو «نرديار» فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ، فقال: ممسوك الدار. (ف ح٢/ ٣٢١)

مسكتك في داري لإظهار صورتي ... فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا

فما أبصرت عيناك مثلي كاملاً ... ولا أبصرت عيني كمثلك إنساناً

فلم يبق في الإمكان أكمل منكمو ... نصبت على هذا من الشرع برهانا

فأي كمال كان لم يك غيركم ... على كل وجه كان ذلك ما كانا

ظهرت إلى خلقي بصورة آدم ... وقررت هذا في الشرائع إيماناً

وسميته لما تجلى بصورتي ... إلى ناظري حقاً وإن كان إنسانا

فقل فيه ما تهواه إن شئت إنه ... ليقبله عيناً وإن كان أكواناً

فلو كان في الإمكان أكمل منكمو لكـان وجـود النقص فيّ إذا كانـا
لأنـك مخصـوص بصورة حضرتي وأكمـل منهـا ما يكـون فقـد بانـا
فماثـل وجـودي فالتقـابـل حاصل فزن ذاتكم إني وضعتـك ميـزانـا
تجد علم ما قد قلت فيك مسطراً ولا أحـداً أوجـدتـه منـك ريـانـا
ظهـرتَ لنـا مجلى فعاينت صورتي وعـاينتُ فيك الكون رمزاً وتبيانا
وســاررتـكـم لما رأيـت سراركم وأعلنت قولي إذ تجليت إحســانـا
ومـا أنت ذاتي لا ولا أنـا ذاتكم فإن كنت لي عينـاً فلا تبـده الآنـا
فأخسرنــا من كان يعـلـن سره وأربحنــا من كان يخفيــه كتمانـا
فمـن كان ذا كتـم لسري وغـيـرة سيلقى غداً روحـاً لديّ وريحـانـا
إذا كنت لي عيناً أكون لكم يداً[1] وأظهــركم بالحـال سراً وإعـلانـا
وصــيرت قلبي للتجـلي منصــة ومهــدتــه حبــاً لخيلك ميــدانـا
وأمـلأته من كل شهم غشمشم[2] لدعـواك فرسـانـاً تجول وركبـانـا
وجئتــك بالأســما يقــدِّم جمعهـا من أسـمائه الحسنى خبيراً ومحسانا
وأنــزلتهــا تبغي الفنــا بفنـائكم وأرسلتهـا عينـاً مَعِينـاً وطـوفـانـا
وهبتـك ياعبدي من أسماء ذاتكم ملابس أعيــاد ضروبــاً وألـوانـا
فإن كنت لي بي كنتُ أنت[1] ولا تقــل أنـا أنت بل كن في الخليقة رحمانا

(ف ح١/ ٦٤٠)

---

(١) يشير الشيخ رضي الله عنه إلى مقام الحب، وهو على ضربين، الأول قوله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إلى عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه» فهي محبة الفرائض ويكون العبد فيها عيناً للحق، والثاني قوله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها» ـ الحديث ـ فهي محبة النوافل.

(٢) الغشمشم: ذو الجرأة والمضاء.

تجلي الحق في الاسم الظاهر والاسم الباطن:

وفي ليلة تقييدي لهذا الفصل، وهي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وستمائة، الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفي عشرين من شباط، رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية وباطنها، شهوداً محققاً، ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا، فحصل لي ـ من مشاهدة ذلك ـ من العلم واللذة والابتهاج، ما لا يعرفه إلا من ذاقه، فما كان أحسنها من واقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة، وصورتها مثالاً في الهامش كما هو، فمن صوَّره لا يبدله، والشكل نور أبيض في بساط أحمر، له نور أيضاً في طبقات أربع صوره، وأيضاً روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع، فمجموع الهوية ثمانية، في طرفين مختلفين من بساط واحد، فأطراف البساط ما هي البساط ولا غير البساط، فما رأيت ولا علمت ولا تخيلت، ولا خطر على قلبي صورة ما رأيت من هذه الهوية، ثم إنها لها حركة خفية في ذاتها، أراها وأعلمها من غير نقلة، ولا تغير حال ولا صفة.

(ف ح٢/ ٤٤٩)

ولذلك قال قدس الله سره في رؤيا رأى فيها الحق تعالى، وقد أعطاه كتابه بيمينه، ورآه من الوجه الذي يُعرَف الحق، ومن الوجه الذي لا يعلم، فرآه من الاسم الظاهر والباطن معاً، في صورتين مختلفتين، وأراد أن يسأله في مسألة وهي هذا المعنى الذي تضمنته هذه الأبيات:

حقيقتي أن أكون عبداً   وحقه أن يكون ربا
إن كان لي في الشهود مثلاً   كنت له في المثال قلبا
مازال إذ زدت منه بُعْداً   بالوجد يوليني منه قربا
أو كنت ذا لوعة معنًّى   يكون لي الصادق المحبا

(الديوان/ ٣٨٧)

الروائح عند الحق:

كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنارة بحرم مكة بباب الحزورة، وكان يؤذن بها، وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه، وسمعت في الخبر النبوي: «أن الملائكة تتأذى

مما يتأذى منه بنو آدم» ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكرات، فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لأجل الملائكة، فرأيت الحق تعالى في النوم، فقال لي عز وجل: لا تقل له عن الطعام، فإن رائحته عندنا ما هي مثل ما هي عندكم، فلما أصبح جاء على عادته إلينا، فأخبرته بما جرى، فبكى وسجد لله شكراً، ثم قال لي: ياسيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى، فأزاله من المسجد رحمه الله.

وذلك مثل ما جاء في الحديث: إن خلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. (ف ح١/ ٦٠٣)

تلاوة الحق بعض الآيات للبشرى:

لما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا، رأيت الحق في الواقعة، فتلى علينا هذه الآيات ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء﴾ الآية، ثم قال: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ فعلمت أني المراد بهذه الآية، وقلت: ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأول، الذي هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام ﴿بين يدي رحمته﴾ وهي العناية بنا ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ وهو ترادف التوفيق ﴿سقناه لبلد ميت﴾ وهو أنا ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به، ثم مثّل فقال ﴿كذلك نخرج الموتىٰ لعلكم تذكرون﴾ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ﷺ في البعث، أعني حشر الأجسام، من أن الله يجعل السماء تمطر مثل مني الرجال ـ الحديث ـ ثم قال ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة، لطهارة المحل ﴿والذي خبث﴾ وهو الذي غلبت عليه نفسه والطبع، وهو معتنى به في نفس الأمر ﴿لا يخرج إلا نكداً﴾ مثل قوله: إن لله عباداً يقادون إلى الجنة بالسلاسل، وقوله ﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾ فقلنا: طوعاً ياإلهنا. (ف ح٤/ ١٧٢)

بشارة الحق للشيخ بالإرث النبوي من قوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾:

هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي، من أول السورة إلى قوله ﴿زنيم﴾ عرفنا الحق

في هذه التلاوة المنزلة من عند الله، في المبشرة التي أبقى الله علينا من الوحي النبوي، وراثة نبوية لله الحمد، ورثته فيها من قوله ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ وفي قوله ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ وقوله ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فشكرت الله على ما حققني به من حقائق الورث النبوي، وأرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه، جعلنا الله منهم، فإن ذلك هو العصمة الإلهية. (ف ح٤/ ١٧٨)

وصية من الحق للشيخ الأكبر:

وصية أوصيت بها في مبشرة، أُريتها وسمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة، في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام، من بلة على قدر الكف، كلاماً لا يُكَيَّف، ولا يشبه كلام مخلوق، عين الكلام هو عين الفهم من السامع، فما فهمت منه «كن سماء وحي، وأرض ينبوع، وجبل تسكين، فإذا تحركت، فلتكن حركة إحياء وسكينة، بتحريك عن وحي سماوي» ثم وقع في نفسي نظم فكنت أنشد:

جعلتَ فيّ الذي جعلتا ... وقلت لي أنت قد عملتا

وأنت تدري بأن كوني ... ما فيه غير الذي جعلتا

فكل فعل تراه مني ... أنت إلهي الذي فعلتا [1]

(ف ح٤/ ٤٨٥)

نصيحة من الحق للشيخ رضي الله عنه:

أُريت في المنام كأن الله يناديني ويقول لي: «ياعبدي إذا أردت أن تكون عندي مقرباً مكرماً منعماً» فأكثر من قولي «رب أرني أنظر إليك» كرر ذلك علي مرات. (كتاب المبشرات)

نهي من الحق للشيخ رضي الله عنه:

رأيت الحق في النوم ليلة الإثنين، الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة إحدى

(١) ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ الآية ﴿الله خالق كل شيء﴾ الآية. وهنا يقصد الشيخ قدس الله سره، التحدث بنعمة الله عليه، وتوفيقه إلى الطاعة والموافقة ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: والخير كله بيديك.

وثلاثين وستمائة، وهو ينهاني عن مجالسة ثلاثة، المطاطين والسقاطين وأُنسيت الثالثة، فكنت أقول له: «يارب وما المطاطون؟» فقال: «الذين يمدون العالم إلى غير نهاية في الابتداء، وإني ابتدأت العالم بالخلق» قلت: «وما السقاطون؟» فقال تعالى: «الذين يأتون بسقط الكلام ليضحكوا به الناس، وهي من سخط الله، فإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أنه يبلغ ما بلغت، فيهوي بها في النار سبعين خريفاً».

فقلت في ذلك في النوم، وقد أنسيت الثالثة:

نهاني الحــق في الــغــطط	عن المــطاط والــســقطِ
وأني لا أجــالس من	يكــون بمــثــل ذا الـنمطِ
وأفــهــمــني بأن أحــظى	به في الــعــالم الــوسطِ

قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً، ووقع لي في النوم في الغطط «أنه صوت النائم» ولذلك جئت به، فإن الغطيط الصوت، كما قيل: يغط غطيط البكر شُدَّ خناقه، وفي الحديث في نوم النبي ﷺ أن له غطيطاً. (الديوان/ ٣٢١)

يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً:

في معرض شرح أن كل نفس مطلوبة من الحق في نفسها، لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، وأن تقلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته، ومن وجه بربه، ليس لغيره فيه مساغ ولا دخول، أراني ذلك في واقعة، فاستيقظت من منامي وأنا أحرك شفتي بهذه الأبيات، التي ما سمعتها قبل هذا، لا مني ولا من غيري، وهذه هي:

قال لي الحــق في منــامــي	ولم يكــن ذاك من كلامــي
وقتــاً أناديـك في عبـادي	وقتــاً أناجيـك في مقـامي
وأنت في الحـالتين عنـدي	في كنف الصـون والـذمـام
فمــن صلاة إلى زكــاة	ومــن زكــاة إلى صيــام
ومــن حرام إلى حلال	ومــن حلال إلى حرام
وأنــت في ذا وذاك مني	كمثــل مقصــورة الخيــام

(ف ح١/ ٦٢٨)

عناية الله بعباده:

في ليلة تقييدي هذا الوجه، أراني الحق في واقعتي رجلاً ربع القامة فيه شقرة، فقعد بين يدي وهو ساكت، فقال لي الحق: هذا عبد من عبادنا، أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو؟ فقال لي: هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرات ـ وأنا إذ ذاك في دمشق ـ فقلت له: يارب وكيف يستفيد مني وأين أنا منه؟ فقال لي: قل فإنه يستفيد منك، فكما أريتك إياه أريته إياك، فهو الآن يراك كما تراه، فخاطبه يسمع منك، ويقول هو مثل ما تقول أنت، يقول أريت رجلاً بالشام، يقال له محمد بن العربي، وسماني، أفادني أمراً لم يكن عندي، فهو أستاذي، فقلت له: ياأبا العباس ما الأمر؟ قال: كنت أجهد في الطلب وأنصب وأبذل جهدي، فلما كشف لي، علمت أني مطلوب، فاسترحت من ذلك الكد، فقلت له: ياأخي من كان خيراً منك وأوصلَ بالحق، وأتم في الشهود وأكشف للأمر، قيل له ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فأين الراحة في دار التكليف؟ ما فهمت ما قيل لك، قولك علمت أني مطلوب، ولم تدر بماذا؟ نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد، ما هذه الدار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه، فانصب في أمر يأتيك في كل نفس، فأين الفراغ؟ فشكرني على ما ذكَّرته به، فانظر عناية الله بنا وبه. (ف ح٣/ ٤٣١)

إعجاز القرآن:

راجع الصدق هو الإعجاز ص ٤٠ - وهنا يقول الشيخ رضي الله عنه:

إني إنـاء ملآن ليس يشرَبُ ما	فيـه من اللبـن الممـزوج بالعسـل
غير الـذي بفنـون العلم خصصنـا	محمـد خير مبعـوث من الـرسـل
أتـى بإعـجـاز قول لا خفـاء به	أعجـازه انعـطفت منـه على الأول
حوى على كل لفظ معـجـز ولـذا	حوى على كل علم جاء من مثـل
أتى به النـاطق المعصـوم معجـزة	إلى الـذي كان في الـدنيا من المِلل
فما يعـارضـه جن ولا بشر	بسـورة مثـله في غابـر الـدول
ولـو يعـارضـه ما كان معـجـزة	فليس إعـجـازه يجري إلى أجـل
رأيـت ربي في نومـي فقـلت له	ما صورة الصرف في القرآن حين تُلي

فقال لي اصدق فإن الصدق معجزة ... ولا تزور أموراً إن أردت تَلي

لكن كلامك إن تفعله معجزة ... فقلت يارب غفراً ليس ذلك لي

هذا دليلٌ بأن القول قولكمو ... لا قوله وهو عندي أوضح السبل

أتى به رُوحه من فوق أرقعة ... سبعٍ إلى قلبه والقلب في شُغل

أتى على سبعة من أحرف نزلت ... ميسر الذكر يتلوه على عجل

إذا تكرر فيه قصة ذكرت ... تكون أقوى على الإعجاز بالبدل

والكل حق ولكن ليس يعرفه ... إلا الذي بدليل العقل فيه بُلي

هذا هو الحق لا تضرب له مثلاً ... فإنه من صفات الحق في الأزل

لا يحجبنك ما تتلوه من سور ... بأحرف وبأصوات على مهل

فكله قوله إن كنت ذا نظر ... فيه على حد إنصاف بلا مَلل

إن الوجود إذا أبصرته عجب ... فكله كلمات الله[1] من قبلي

أنا محصله أنا مفصله[2] ... بنا تلاوته فينا على وجل

قد أودع الله فيه كل مرتبة ... تحوي على حزن تحوي على جزل

فيُحزِن القلبَ أحياناً ويُفرحه ... بما يقرره في كافر وولي

من الصفات التي جاءت مرتبة ... على الحقائق في حافٍ ومنتعل

يعلو به واحد لله منزله ... وآخر نازل منه إلى السفل

قيل لي - في بعض الوقائع - أتعرف ما هو إعجاز القرآن؟ قلت: لا، قال: كونه إخباراً عن حق؛ التزم الحق يكن كلامك معجزاً، فإن المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه، أنه يجعله من الله وليس من الله، فيقول على الله ما لا يعلم، فلا يثمر ولا يثبت، فإن الباطل زهوق لا ثبات له، ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها، بأمور

---

(١) قال تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ وقال تعالى ﴿إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

(٢) الضمير يعود على القرآن.

تناسبها في الألفاظ مما لم يقع ولا كانت، فهي باطل، والباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود، والقرآن إخبار عن أمر وجودي، حق في نفس الأمر، فلابد أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله، فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله، فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه، فأعجز من أراد التسور على مقامه من غير حق. **(الديوان/ ٤٦٨)**

طريق السعادة:

ناداني الحق في سري: عبدي، وابن أمتي وعبدي، وعزتي وجلالي، ومجدي وعظيم سلطاني، وعلو جدي، لا نال معرفتي أحد، ولا ينال ما عندي من جزيل وعدي، إلا حتى يتصف في هذه الدار الدنيا، بما اتصف به أهل الشقاء في الدار الآخرة، من الخشوع ذلة وافتقاراً، والبكاء دمعاً مدراراً، والزفرات المتصاعدة، وتنضيج الجلود، وتضييق الكبود، وتنغيص العيش النكيد، بهذا حليت أوليائي وأنبيائي، لما سبق لهم عندي من السعادة، بعد جهد ومكابدة وجوع، وشد الأحجار على البطن، قاساه الرسول السيد المطيع، حتى فتح له مع أصحابه في لبن وتمر، دون لحم ولا خبز بُر، قال لأصحابه: إنكم لتسألن عن نعيم هذا اليوم، فنغص عليهم عيشهم على قلته، وأخذهم له على فاقة، فأحوال الدارين معكوسة، وصفاتها منكوسة، حفت الجنة بالمكاره، وهي ما يقاسيها المؤمن في الدنيا والكافر في العقبى، وحفت النار بالشهوات، وهي ما يلتذ بها الكافر في الدنيا والمؤمن في العقبى.

(روح القدس في محاسبة النفس)

لزوم الأدب في مسألة الجبر والاختيار:

من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا، أو يقول: إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدور، هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل، وما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع ـ الذي لا أشك فيه علماً ـ سوى ليلة تقييدي هذا الباب الأحد والعشرين ومائة، في هذه المجلدة، وهي ليلة السبت السادس من رجب الفرد، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، فإنه لم يكن يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين، ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الحق بكشف بصري،

على خلقه المخلوق الأول، الذي لم يتقدمه مخلوق، إذ لم يكن إلا الله، وقال لي: هل هنا أمر يورث التلبيس والحيرة؟ قلت: لا، قال لي: هكذا جميع ما تراه من المحدثات، ما لأحد فيه أثر، ولا شيء من الخلق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، فتتكون عن أمري، خلقت النفخ في عيسى، وخلقت التكوين في الطائر، قلت له: فنفسك إذاً خاطبت في قولك افعل ولا تفعل، قال لي: إذا طالعتك بأمر فالزم الأدب، فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة، قلت به: وهذا عين ما كنا فيه، ومن يحاقق ومن يتأدب، وأنت خالق الأدب والمحاققة؟ فإن خلقت المحاققة فلابد من حكمها، وإن خلقت الأدب فلابد من حكمه، قال: هو ذلك، فاستمع إذا قرىء القرآن وأنصت، قلت: ذلك لك، اخلق السمع حتى أسمع، واخلق الإنصات حتى أنصت، وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت، فقال لي: ما أخلق إلا ما علمت، وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه، فلله الحجة البالغة، وقد أعلمتك هذا فيما سلف، فالزمه مشاهدة فليس سواه، ترح خاطرك، ولا تأمن حتى ينقطع التكليف، ولا ينقطع حتى تجوز على الصراط، فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية، ليست عن أمر ولا نهي، يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة. (ف ح١/ ٦١٧ - ح٢/ ٢٠٤)

رؤية الشيخ الأكبر قدس الله سره العزيز لبعض الملائكة في المنام

الخير المحض والشر المحض:

قال لنا بعض سفراء الحق، في منازلة في الظلمة والنور: إن الخير في الوجود، والشر في العدم، في كلام طويل، علمنا أن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد، وهو الخير المحض الذي لا شر فيه، فيقابله إطلاق العدم، الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه، فهذا هو معنى قولهم: إن العدم هو الشر المحض. وقد بت في جماعة من الصالحين، منهم أبـو العبـاس الحـريري، الإمـام بزقاق القناديل بمصر، وأخوه محمد الخياط، وعبد الله المروزي، ومحمد الهاشمي اليشكري، ومحمد بن أبي الفضل، فأريت نفسي والجماعة في بيت شديد الظلمة، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا، فكانت الأنوار تنفهق علينا من أجسامنا، فتضيء بها، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهاً ومنطقاً، فقال: أنا رسول الحق إليكم؛ فكنت أقول له: فما جئت به في رسالتك؟ فقال: اعلم أن الخير في الوجود والشر في العدم، أوجد الإنسان بجوده، وجعله واجداً ينافي وجوده، تخلق بأسمائه وصفاته، وفني عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أسه، فكان هو ولا أنت ـ فأخبرت الجماعة بالواقعة، وسروا وشكروا الله، ثم وضعت رأسي في عبي، فنظمت في نفسي أبياتاً في المعرفة، ونام أصحابي، فاستيقظ عبد الله وناداني: ياأبا عبد الله، فلم أجبه كأني نائم، فقال لي: ما أنت بنائم، أنت تعمل شعراً في معرفة الله وتوحيده، فرفعت رأسي وقلت له: من أين لك هذا؟ فقال لي: رأيتك تعقد شبكة رفيعة، فأولت الخيوط المنثورة تعقدها شبكة، معاني متفرقة تجمعها، وكلاماً منثوراً تنظمه، فقلت: هذا يعمل شعراً، قلت له: صدقت، فمن أين عرفت أنه في معرفة الله وتوحيده؟ قال قلت: الشبكة

لا يصاد فيها إلا ذو روح، حي عزيز المأخذ، فلم أجد شعراً فيه روح وحياة وعزة، إلا فيما يتعلق بالله تعالى، فكان تأويل رؤياه أعجب إلينا من الرؤيا، رضي الله عنهم اجمعين.

(ف ح١/ ٤٧ ـ كتاب المسامرات ح٢ ـ ف ح٢/ ٥١)

إخبار من ملك بنزول مكر إلهي:

رأيت في الواقعة وأنا ببغداد، سنة ثمان وستمائة، ليلة الحادي عشر من رمضان، قد فتحت أبواب السماء، وفتحت خزائن المكر، ونزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام، وسمعت ملكاً يقول: ماذا أنزل الليلة من مكر الله؟! فاستيقظت فزعاً مرعوباً مما رأيت.

(ف ح٢/ ٥٣٠)

ولنا في ذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله﴾.

من أمــن المكــر من الله	فأمــنــه المكــرُ من الله
هذا الـذي يأمن من مكـره	هل جاءه وحــي من الله
كيف له بالأمن من مكـره	جرأة منــه على الله
هذاك جبريــل على قربــه	لا يأمــن المكــر من الله
فَلُذْ بجنب الله واســترعـه	وارجــع إلى الله من الله
فالصادق المصدوق عبد أتى	بكــله شوقــاً إلى الله

(كتاب المسامرات ح٢)

تجلي آيات القرآن في قوالب حسية:

واقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي فصل الجمعة بعرفة، كنت أرى فيما يراه النائم، شخصاً من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض، متراصة الأجزاء، ما لها غبار، في عرض شبر وطول شبر، وعمق لا نهاية له، فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ إلى قوله ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾ فكنت أتعجب، ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات، ولا أنكر أنها قطعة أرض، وقيل لي: هكذا أنزل القرآن، أو أُنزلتْ على محمد ﷺ؛ فكنت أرى رسول الله ﷺ

يقول لي: هكذا أنزلت عليّ فخذها ذوقاً، وهكذا هو الأمر، فهل تقدر على إنكار ما تجده من ذلك؟ قلت: لا، فكنت أحار في ذلك الأمر، حتى قلت لغلبة الحال عليّ في ذلك:

ما ثَمَّ إلا حيرة عَمَّـت — كلي وبعضي وهي من جملتي
والله ما ثَمَّ حديـث سوى — هذا الذي قد شْهدت مقلتي
فما أرى غيري ومـا هو أنـا — وذاك مجلاه وذي كِلْتي[1]

فقلت: هذا كشف مطابق للجمعـة التي جاء بها جبريل عليه السلام، إلى رسول الله ﷺ في صورة مرآة مجلوة، وفيها نكتة، وقال له: يارسول الله، هذه الجمعة، وهذه النكتـة السـاعة التي فيها - والحديث مشهور - فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في القوالب الحسية، وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق.

فالكـل حق والكـل خلق — وكـل ما تشـهـدون حق
يحوي على الأمـر من قريب — ومـا له في اللسـان نطق
وكـله مثـل ما تراه — وكله في الـوجـود صدق

انتهى إمداد الواقعة الجامعة. (ف ح١/ ٧١٤)

بشرى من ملك بالتقريب الإلهي:

بينا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾ لأنه وفّى بما رأى من ذبح ابنه، أخذتني سِنَة، فإذا قائل من الأرواح - أرواح الملأ الأعلى - يقول لي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنه كان أواهاً حليماً، ثم تلا عليّ ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ فعلمت أن الله تعالى لابد أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحلم، إذ لا حليم من غير قدرة على من يحلم عنه، وعلمت أن الله لابـد أن يبتليني بكلام في عرضي من أشخاص، فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم عنهم، ويكون أذى كثير، فنرجو أن يكون لنا نصيب من الخلة - كما حصل من درجة الكمال والختام والرفعة السارية في الأشياء في هذه الأمة - الحظ الوافر بالبشرى في ذلك، وفي هذه

(١) كلتي: بكسر الكاف أي حالتي.

الواقعة أيضاً قيل لي: قل لأصحابك استغنموا وجودي من قبل رحلتي، فنظمت ذلك وضمنته هذا اللفظ، فقلت بعد ما استيقظت:

قد جاءني خطاب ... من عند بغيتي
بأن أقول قولاً ... لأهل ملتي
استغنموا وجودي ... من قبل رحلتي
لكي أرى بعيني ... من كان قبلتي
وفي وجودي أيضاً ... من كان علتي
فإنني فقير ... لسد خُلتي
محبتي مقامي ... والحال خِلتي
فعينه وجودي ... والعلم حُلتي
دعوت عين نفسي ... لما تولت
عن ذكر ما أتاها ... وما استقلت
فعندما تجلى ... مع الأهلة
إلى شهود عيني ... من خلف كِلّتي
ومد لي يميناً ... من أجل قُبلتي
فما رأيت غيري ... إذ كان جملتي

ورأيت في هذه الواقعة أنواعاً كثيرة، من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي، وما يدل على العناية والاعتناء، فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد، فإن الأدب يعطي أن أقول ـ في مثل هذا ـ ما قال رسول الله ﷺ: «إن يكن من عند الله يمضه» مع علمه بأنه من عند الله، فما قلت مثل هذا قط في واقعة، إلا وخرجت مثل فلق الصبح، فإني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله ﷺ، فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها، وانتفعت بالاتباع فيه، وما قلت هذا كله إلا امتثالاً لأمر الله في قوله: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

(ف ح ١/ ٧٢٢)

(١) كلتي بكسر الكاف، والكِلة هنا الستر الرقيق.

من المبشرات التي رآها الشيخ رضي الله عنه لغيره

مبشرة في حق القاضي أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة:

اجتمع ابن رشد مرة بالشيخ رضي الله عنه، ثم أراد الاجتماع به مرة ثانية، فيقول رضي الله عنه: فأقيم لي رحمه الله في الواقعة، في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق، أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد شغل بنفسه عني، فقلت: إنه غير مراد لما نحن عليه، فما اجتمعت به حتى درج، وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش، ونقل إلى قرطبة وبها قبره. (ف ح١/ ١٥٤)

مبشرة في حق أبي محمد بن حزم، المحدث:

رأيت النبي ﷺ في المنام وقد غشيه النور، وقد عانق أبا محمد بن حزم المحدث، فغاب الواحد في الآخر، حتى كأنهما جسد واحد، فلم نرَ إلا واحداً وهو رسول الله ﷺ.
(ف ح٢/ ٥١٩ ـ كتاب المبشرات)

مبشرة في حق السلطان النور بن الرشيد، تدل على فتح انطاكية:

رأينا ونحن بسيواس، في شهر رمضان، والسلطان الغالب ـ في ذلك الزمان ـ النور ابن الرشيد يحاصر أنطاكية، فرأيت كأنه نصب عليها المجانيق ورماها بالأحجار، فقتل زعيم القوم، فأولت الحجارة آراءه السديدة وعزائمه التي يرميهم بها، وأنه فاتحها إن شاء الله تعالى، فكان كما رأيت بحمد الله، وفتحها يوم عيد الفطر، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً، وذلك سنة اثنى عشرة وستمائة، فكتبت إليه من ملطية ـ قبل فتحه إياها ـ بأبيات أذكر فيها رؤياي، وأذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة أم المؤمنين قبل أن يتزوج بها في سرقة حرير، فقال له هذه

زوجتك، فلما استيقظ رسول الله ﷺ وذكرها قال: «إن كان من عند الله سيمضيه» فقلنا نحن كذلك أدباً واقتداءً، فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها، كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة، وكانت الأبيات لزوميات اتفاقاً وهي:

قصدت بلاد الكفر تبغي فتوحها	فأبشر فإن الروم فيك لفي خسر
رأيت لكم رؤيا تدل على النصر	وفتحِ بلاد الكفر والقتل والأسر
قتلتم بأحجار المجانيق كبشهم	فأولتها الآراءُ تُعضد بالنصر
فدونك فانهض أيها الملك الذي	علا أمره فوق السماكين في النسر
وخذها من الله الكريم بشارة	تدل على التأييد والقهر والقسر
فإن كان عن حق سيمضي وجودها	وإن لم يكن ما فيه في الملك عن عسر
بذا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحيه	برؤياه في أمر الحميراء بالسر
إذا جاء نصر الله والفتح فلتجد	بمالك من خير على العسر واليِسر

(مسامرات ح٢)

مبشرة رآها الشيخ لقاضي دمشق:

لقد رأيت لقاضي دمشق ـ عندما ولي القضاء بدمشق ـ وهو شمس الدين أحمد بن مهذب الدين خليل الجوني، وفقه الله وسدده بملائكته وعصمه في أحكامه، وقائل يقول له في النوم: «إن الله قد خلعَ عليك ثوباً نقياً سابغاً، فلا تدنسه ولا تقلصه» واستيقظت وذكرتها له، فالله يجعله ممن حفظ الوصية الإلهية. (ف ح٣/ ٥٠٨)

مبشرة رآها لشمس الدين إسماعيل بن سودكين:

رأيت في المنام شمس الدين إسماعيل بن سودكين النوري وقد استقبلني، وهو ينشدني بيتين ما سمعتهما قبل ذلك منه ولا من غيره، وهما:

أنا في العالم الذي لا أراكم	كمسيح النصارى بين اليهود
فإذا ما رأيتكم نصب عيني	أنا والله في جنان الخلود

ينظر إلى الأول قول المتنبي:

ما مقـامـي بأرض بخـلة إلا كمقـام المسيـح بين اليهـود

أنـا في أمـة تداركـهـا الله غريبٌ كصـالـح في ثمـود

وكانت الرؤيا في ليلة صبيحة يوم الاثنين، ثامن عشر جمادى الأول، سنة عشرين وستمائة بظاهر دمشق. (الديوان/ ٩١)

مبشرة في حق صاحب له ميت:

قلت في النوم مرتجلاً، وقد رأيت شخصاً قد ثبت له حق على ميت من أصحابه، فحاز به كتاباً كان في وعاء مما خلفه الميت، فقال له شخص في النوم: «لما حازه هذا دون الوارث؟» فأجابه:

ضم الكتاب إلى الوعاء فحازه ما كل من ضم الكتـاب يحوز

لولا ثبوت الحق لم يجز الـذي قد كان لكـن بالـثبـوت يجوز

(الديوان/ ١٣٢)

مبشرة في حق بعض إخوانه ـ يوسف بن أبي إسحق:

لا تدعـي في طريـق أنـت سالكـه وإنـما أمـره مكـارم الخـلق

ولـيس عنـدك منهـا ما تكـون به من أهـلهـا ولهـذا أنـت في قلق

أنـت الـذي قال فيـه الحق يعلمكم جريـت سبعـاً مع الأهـواء في طلق

لا تتبـع غرضـاً إن كنت تطلبنـا وكـن مع أهـل طريـق الله في نسـق

ولـو نظرت بعيـني لا بعيـنكمـو لما رأيـتـك في خوف ولا ملق

ما ذا صفـات رجـالي إنهم صبروا على المكـاره في نور وفي غسـق

يايـوسف بن أبي إسحق كن رجـلاً ولا تكن عنـدنـا من أخسر الفـرق

فأنـت ذو لؤم طبـع لسـت ذا كرم لو كنـت ذا كرمٍ ما كنـت ذا فرق

إن الكـريـم شجـاع في سجيـتـه له من الـنعت طول البـاع في العنق

أعيـذه بالـذي في النـور[1] من سور معلومـة مثـل رب النـاس والفلق

(الديوان/ ٢٣٢)

---

(١) النور يعني به القرآن.

مبشرة رأى فيها العز بن عبد السلام:

رأيت في الـواقعـة عز الـدين بن عبـد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة كالمدرسة، يعلم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه، فرأيت إنساناً قد أتى يسأله عن كرم الله تعالى، فكان ينشده بيتاً في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: «إن لي في هذا المعنى بيتاً من قصيدة» فكلما جهدتُ أن أتذكره، لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول له: «إن الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله» فقال لي: «قل» وهو يبتسم، فينطقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمعي قبل ذلك، وهي:

الله أكـرم أن يحظى بنـعـمـتـه ... الـطائعون ويشقى المجرم العاصي

وإن شقـي فكـآلام يصـيـب بها ... المـؤمـنـين فمـن دان ومـن قاصي

وكـلهـم عالم بالله مسـتـنـد ... إلـيـه مفـلسـهـم ورب أوقـاص

فكان يبتسم، فبينما نحن كذلك، إذ مر القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله تعالى عنه، فلما أبصرني نزل عن بغلته، وجاء فقعد إلى جانب العز بن عبد السلام، ثم أقبل عليّ وقال لي: أريد أن تقبلني في فمي، فضمني وقبلته في فمه، فقال العز بن عبد السلام: ما هذا؟ فقلت له: أنا في رؤيا، والتقبيل قبول يطلبه مني، فإنه شخص قد حسن الظن بي، وقـد خطر له قصر أمله، وقبيح عمله، واقـتراب أجله، ثم قمت فعضـدته حتى ركب وانصرف، ثم قال لي العز بالإيماء والتلويح لا بالتصريح، كيف حالك مع أهلك؟ فكنت أنشده بيتين ما طرقا سمعي قبل ذلك، بل كان الله ينطقني في ذلك الوقت بهما، وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئاً ... تبـسـمـت ودنت مني تمازحني

وإن رأتـه خليـاً من دراهمـه ... تكـرهت وانثنت عني تقابحني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقتَ ـ وهنا انتهت المبشرة والله الواقي. (الديوان/ ٢٥٦)

مبشرة رآها الشيخ لإبراهيم بن همام الإشبيلي:

اتفق لرجـل من الصالحين أن رأى فقهاء البلد الذي كان فيه (وهي مكة) قد اجتمعوا ودفنوا النبي ﷺ وقد مات بينهم، فاستيقظ الرجل فسأل، فوجدهم في مسألة من الحج،

قد أبينت لهم الأحـاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها، فأبوا قبولها وحكموا في المسألة بالرأي، وقالوا مذاهب قد استقرت، يريد هذا المنازع أن يردها بهذه الأحاديث، وتعصبوا عليه - فرأيت رسول الله ﷺ وأنا بمكة، وكان إبراهيم بن همام الإشبيلي قد اعتنى بضبط الحـديث والعمل به، وعليه قام هؤلاء الفقهاء الذين دفنوا النبي ﷺ كما ذكرنا، فرأيت النبي ﷺ يقبل إبراهيم بن همام ويضمه إليه، ضم مودة ويعرفه بأنه يحبه. (كتاب المبشرات)

مبشرة رأى فيها الشيخ الإمام مالك:

رأيت مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة في المنام، وعليه ثوب أبيض، يجر منه في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وهو على باب يقال له باب الفتح، فقلت له: يامالك ما أقرأ؟ فقال: تحب أن تقرأ كتب الرأي، فكنت أرى شخصاً كان يشتغل بكتب الرأي، وهو ينظر في مزبلة معرضاً عن مالك، مقبلاً على المزبلة، فقلت يامالك أخاف أن تقودني كتب الرأي إلى ما قادت هذا الشخص، فتبسم مالك رضي الله عنه وقال: صدقت، عليك يابني بتقييد الحديث والعمل به[1]. (كتاب المبشرات)

مراتب الأئمة الأربعة:

ومن شرف علم الحـديث، ما حدثنـا به العـالم أبـو العبـاس أحمـد بن داود بن ثابت بن منصـور الحـريري الحلفـاوي رحمـه الله، بمـدينة تونس، بدار الشيخ الصالح العارف عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، قال أبو العباس: كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه وجودة ذهنه، وكنت أميل إليه من دون الأئمة، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فلم يكلمني، وهبت أن أسأله، وكان أبو بكر خلفه، فقلت: ياأبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم؟ فقال: اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك، ثم أبو حنيفة، قال أبو العباس: فتعجبت، وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث.

ولقد أخبرت بهذه الحكاية القاضي عبد الوهاب الأزدي الاسكندراني بمكة، سنة تسـع وتسعين وخمسمائة، فقال: هو الصحيح، وأنا أخبرك بما يقوي ما رآه أبو العباس، فقلت له: اخبرني - ونحن تجاه الركن اليماني عند باب الحزورة - فقال: كان عندنا رجل

(١) راجع الاشتغال بتقييد الحديث والأخذ به وترك الرأي/ص ٢٠

صالح فيه خير وله سمت حسن، فمات، فرآه بعض الصالحين من أصحابنا في المنام، فقال له الرائي: يافلان كيف تكون الأرض إذا جاءك الملكان؟ فقال: إنها تصير كالماء، كلما اخترقت فيها لم تمتنع عليك، كما تخترق الماء، قال الرائي: سواء، فقلت له: ما رأيت؟ قال: رأيت كتباً مرفوعة وكتباً في الأرض موضوعة، فسألت عنها، فقيل لي: أما المرفوعة فكتب الحديث، وأما الموضوعة فكتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها. (كتاب المبشرات)

مبشرة سأل فيها الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه عن حدود المسجد الحرام:

رأيت - وأنا بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة - في النوم أبابكر الصديق رضي الله عنه، فسألته: أين حد المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بمائة ألف، هل هو الحرم كله، أو هل هو المسجد المعروف وحده؟ فقال: لا أقول هو الحرم كله، ولا أقول هو المسجد وحده، ولكني أقول: كل موضع في الحرم توقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم، فهو المسجد الحرام والصلاة فيه بمائة ألف، هكذا هو عندنا - ثم استيقظت. (كتاب المبشرات)

ما رؤي للشيخ من المبشرات

مبشرة رآها أبو يحيى ببكر بن أبي عبد الله:

قعدنا يوم السبت ـ على سبيل العادة ـ في المسجد الحرام، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى ببكر بن أبي عبد الله الهاشمي التويتمي الطرابلسي رحمه الله، فجاء على عادته، فلما فرغنا من القراءة، قال لي: رأيت البارحة في النوم، كأني قاعد، وأنت أمامي مستلق على ظهرك تذكر الصاد، فأنشدتك مرتجلاً:

الصاد حرف شريف   والصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم، ما دليلك؟ فقلت:

لأنها شكل دور   وما من الدور أسبق

ثم استيقظت ـ وحكى لي في هذه الرؤيا، أني فرحت بجوابه، فلما أكمل ذكره، فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي وبهيئة الاضطجاع، وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام، وهي حالة المستريح الفارغ من شغله، والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة. (ف ح١/ ٧١)

مبشرة رآها يحيى بن الأخفس:

كان عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والأدب والدين، يقال له يحيى بن الأخفس من أهل مراكش، كان أبوه يدرس العربية بها، فكتب إليّ يوماً من منزله بدمشق وأنا بها، يقول لي في كتابه: ياولي رأيت رسول الله ﷺ البارحة بجامع دمشق، وقد نزل بمقصورة الخطابة إلى جانب خزانة المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه، والناس يهرعون إليه

ويدخلون عليه يبايعونه، فبقيت واقفاً حتى خف الناس، فدخلت عليه وأخذت يده، فقال لي: هل تعرف محمداً؟ قلت له: يارسول الله من محمد؟ فقال له: ابن العربي، قال قلت له: نعم أعرفه، فقال له رسول الله ﷺ: إنا قد أمرناه بأمر، فقل له يقول لك رسول الله: انهض لما أمرت به، واصحبه أنت فإنك تنتفع بصحبته، وقل له يقول لك رسول الله: امتدح الأنصار ولتعين منهم سعد بن عبادة ولابد، ثم استدعى بحسان بن ثابت، فقال له رسول الله ﷺ: ياحسان حفظه بيتاً يوصله إلى محمد بن العربي يبني عليه، وينسج على منواله في العروض والروي، فقال حسان خذ إليك، وأنشدني بيتاً هو:

شغف السهاد بمقلتي ومزاري   فعلى الدموع معولي ومشاري

وما زال يردده عليّ حتى حفظته، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا مدح الأنصار فاكتبه بخط بيّن، واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست[1]، فستجد عندها شخصاً اسمه حامد، فادفع إليه المديح، فلما أخبرني بذلك هذا الرائي ـ وفقه الله ـ عملت القصيدة من وقتي، من غير فكرة ولا روية ولا تثبط، ودفعت القصيدة إليه، فكتب إليّ أنه لما جاء قبر الست، وصل إليه بعد العشاء الآخرة، قال: فرأيت رجلاً عند القبر، فقال لي ابتداء: أنت يحيى الذي جاء من عند فلان، وسماني، فقلت له: نعم، قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار عن أمر رسول الله ﷺ، فقلت: هو ذا عندي، فناولته إياه، فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة، فلم أره يخبر ذلك الخط، فقلت له: تأمرني أنشدك إياها، قال: نعم، فأنشدته إياها، وهذا نص القصيدة:

قال ابن ثابت الذي فخرت به   فِقَرُ الكلام ونشأة الأشعار
شغف السهاد بمقلتي ومزاري   فعلى الدموع معولي ومشاري

وكانت أمي تنسب إلى الأنصار فقلت:

فلذا جعلت رويه الراء التي   هي من حروف الرد والتكرار
فأقول مبتدءاً لطاعة أحمد   في مدح قوم سادة أبرار

---

(١) لا زال هذا المكان معروفاً للآن، وهو مزار يقال له مزار «السيدة زينب» بضاحية من ضواحي دمشق.

إني امـرؤ من جملة الأنـصـار فإذا مدحـتهمـو مدحت نِجـاري[1]
بسيوفهم قام الهدى وبهم علت آنـواره في رأس كل منـار
قامـوا بنصر الهاشمي محمـد المصـطفى المختـار من مختـار
صحبـوا النبي بنيّـة وعـزائم فازوا بهن حميـدة الآثـار
باعـوا نفـوسهم لنصرة دينـه ولـذاك ما صحبـوه بالإيثـار
عنهم كنى المختار بالنَفَس الذي يأتيـه من يَمَـن مع الأقـدار
سعـد سليـل عبادة فخرت به يوم السقيفـة جملة الأنصـار
لله آسـاد لكـل كريهـة نزلـت بديـن الله والأخيـار
عزّوا بديـن الله في إعـزازهم ديـن الهـدى بالعسكـر الجـرار
فيهم علا يوم القيـامة مشهدي وبهم ترى يوم الـورود فخاري
لو أنني صغت الكـلام قلائـداً في مدحـهم ما كنت بالمكثـار
كرش النبي[2] وعيبـة لرسـوله لحقـت بهم أعـداؤه بتـبـار
رهبـان ليـلاً يقـرؤون كلامـه آسـاد غاب في الـوغى بنهـار

(ف ح١/ ٢٦٧)

مبشرة رآها رجل صالح اسمه عبد الواحد بمكة:

يقـول الشيخ قدس الله سره العـزيز، مخبراً عن بعض أحـوالـه في حضرة الخيال المنفصل: ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها، وزمزم يسألني التضلع من مائـه، رغبة في الاتصال بالمؤمن، سؤال نطق مسموع بالأذن، فخفنا من الحجاب بها - لعظيم مكانتها من الحق - عما نحن عليه في أحوالنا من القرب الإلهي، الذي يليق بذلك الموطن في معرفتنا، فأنشدتها مخاطباً ومعرفاً بما هو الأمر عليه، مترجماً عن المؤمن الكامل.

ياكـعبـة الله ويـازمـزمـه كم تسألاني الوصل صه ثم مه
إن كان وصـلي بكـما واقعـاً فرحـة لا رغـبـة فيكـمـه

(١) النجر والنِجار: الأصل.
(٢) خؤولته ﷺ.

ما كعبـــة الله سوى ذاتـــنـــا ذات ستـــارات التقى المعلمـة
ما وســـع الحـــق سماء ولا أرض ولا كلم من كلمــه
ولاح للقـلب فقـال اصـطبر فإنــه قبـلتـنــا المـحـكـمــة
منــكـم إلـيـنــا وإلى قلبكـم منــا فيــا بيـــتي ما أعــظمــه
فرض على كعبـتـنـــا حبكـم وحبـنـــا فرض عليكم ومــه
ما عظّم الــبـيـــت على غيره سواك ياعــبــدي بأن تلزمــه
قد نوّر الــكـعبـــةَ تطوافُـكـم بها وأبيـــات الـــورى مظلمـــة
ما أصـــبر الـبيت على شركهم لولاكـمـــو كان لهم مشـــأمـــة
لكـــنــكـــم فيَّ تواصيـتـمـــو بالصـــبر تحقيقـــاً وبـــالمـرحمة
ما أعـشـق القلب بذاتي ومـــا أشـــده حبـــاً ومـــا أعـــلمـــه

وكان بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها، مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة، وما عملت تلك الرسـائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث، وذلك أني كنت أفضل عليها نشـأتي، وأجعـل مكـانتها في مجلى الحقائق دون مكانتي، وأذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية، في أول درجة من المولدات، وأعرض عما خصها الله به من علو الدرجات، وذلك لأرقي همتهـا، ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها، وتقبيل حجرها، فإني على بينة من ترقي العـالم علوه وسفله مع الأنفـاس، لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة، فإن الأصـل الذي يرجع إليه جميع الموجودات، وهو الله، وصف نفسه أنه ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين، فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون الإلهية، وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب عليّ، فلا شك أن الحق أراد أن ينبهني على ما أنا فيه من سكر الحال، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة، فيها رش مطر، فتوضأت وخرجت إلى الطواف بانزعاج شديد، وليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن، فلما نزلت، قبلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر، نظرت إلى الكعبة، فرأيتها ـ فيما تخيل لي ـ قد شمرت أذيالها، واستعدت مرتفعة عن قواعدها، وفي نفسها إذا وصلت بالطواف إلى الركن

الشـامي، أن تدفعني بنفسها، وترمي بي عن الطواف بها، وهي تتوعدني بكلام أسمعه بأذني، فجزعت جزعاً شديداً، وأظهر الله لي منها حرجاً وغيظاً، بحيث لم أقدر على أن أبرح من موضعي ذلك، وتسترت بالحِجْر، ليقع الضرب منها عليه، جعلته كالمجن الحائل بيني وبينها، وأسمعها والله وهي تقول لي: تَقَدَّم حتى ترى ما أصنع بك، كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم، وتفضل العارفين عليّ، وعزة من له العزة، لا تركتك تطوف بي، فرجعت مع نفسي، وعلمت أن الله يريد تأديبي، فشكرت الله على ذلك، وزال جزعي الذي كنت أجده، وهي والله - فيما يخيل لي - قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال، كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه، يجمع عليه ثيابه، هكذا خيلت لي، قد جمعت ستورها عليها لتثب عليّ، وهي في صورة جارية، لم أرَ صورة أحسن منها، ولا يتخيل أحسن منها، فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها، واستنزلها عن ذلك الحرج الذي عانيته منها، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات، وهي تتسع وتنزل بقواعدها على مكانها، وتـظهـر السرور بما أسمعهـا، إلى أن عادت إلى حالهـا كما كانت، وأمنتني وأشـارت إليّ بالطواف، فرميت بنفسي على المستجار، وما فيّ مفصل إلا وهو يضطرب من قوة الحال، إلى أن سريّ عني، وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر، فخرجت الشهادة عنـد تلفظي بها - وأنا أنظر إليها بعيني - في صورة سلك، وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر، فرأيته نحو ذراع[1]، ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة، واستقرت في قعر الحجر، وانطبق الحجر عليها، وانسد ذلك الطاق وأنا انظر إليه، فقال لي: هذه أمانة عندي، أرفعها لك إلى يوم القيامة، أشهد لك بها عند الله؛ هذا قول الحجـر لي وأنـا اسمع، فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك، ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينهـا، وخـاطبتهـا بالـرسائل السبعة[2]، فزادت بي فرحاً وابتهاجاً، حتى جاءتني منهـا بشرى على لسـان رجـل صالـح من أهـل الكشف، ما عنـده خبر بما كان

(١) سألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين، حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه، فقال لي: رأيته في طول الذراع.

(٢) هذه الرسائل مجموعة في كتاب سماه الشيخ «تاج الرسائل ومنهاج الوسائل».

بيني وبينها مما ذكرته، فقال لي: رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي: ياعبد الواحد، سبحان الله، ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان، وسمتك لي باسمك، ما أدري أين مضى الناس؟ ثم أُقِمتَ لي في النوم وأنت طائف بها وحدك، لم أرَ معك في الطواف أحداً، فقالت لي: انظر إليه، هل ترى بي طائفاً آخر؟ لا والله، ولا أراه أنا ـ فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل، وتذكرت قول رسول الله ﷺ في الرؤيا الصالحة، يراها الرجل المسلم أو ترى له ـ وأما الأبيات التي استنزلت بها الكعبة فهي هذه:

بالمستجار استجار قلبي لما أتاه سهم الأعادي
يارحمة الله للعباد أودعك الله في الجهاد
يابيت ربي يانور قلبي ياقرة العين يافؤادي
ياسِرّ قلب الوجود حقاً ياحرمتي ياصفا ودادي
ياقبلة أقبلت إليها من كل ربع ومن كل وادي

ومن بقاء فمن سماء ومن فناء فمن مهاد
ياكعبة الله ياحياتي يامنهج السعد يارشادي
أودعك الله كل أمن من فزع الهول في المعاد
فيك المقام الكريم يزهو فيك السعادات للعباد
فيك اليمين التي كستها خطيئتي جدة السواد

ملتزم فيك من يلازم هواه يسعد يوم التناد
ماتت نفوس شوقاً إليها من ألم الشوق والبعاد
من حزن ما نالها عليهم قد لبست حلة الحداد [1]
لله نور على ذراها من نوره للفؤاد بادي
وما يراه سوى حزين قد كحل العين بالسهاد

(١) يشير إلى سواد أستار الكعبة.

يطوف سبعاً في إثر سبع   من أول الليل للمنادي
بعبرة ما لها انقطاع   رهين وجدٍ حلف اجتهاد
سمعته قال مستغيثاً   من جانب الحجر آهٍ فؤادي
قد انقضى ليلنا حثيثاً   وما انقضى في الهوى مرادي

(ف ح١/ ٧٠٠)

خاتــمة

الحمد لله تعالى، أحمده على توفيقه، وأن أعانني على إصدار هذه السلسلة الأولى التي يختمها كتابي هذا، وأرجو الله تعالى أن يكون فيها نفع للمسلمين والباحثين، والتائهين في بحار علوم الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه، فقد قصدت من هذا الجمع، توحيد كل موضوع على حدة، بجمعه من مصادر مختلفة، ومن كتب صح عند المحققين أنها للشيخ رضي الله عنه، وبهذا الجمع آمل أن أكون قد أعطيت صورة واضحة لما عرضته من مواضيع وأبحاث، قدمها الشيخ متفرقة في كتب كتبها لأهلها، لا تلتبس عليهم، إلا أنها تلتبس على الغريب الذي ليس من جنسهم، فأرجو الله تعالى لمن أمكنه استيعاب ما في هذه السلسلة، أن يطالع كتب الشيخ بنفسه، فقد تكون هذه المجموعة مدخلاً لقراءة كتب الشيخ، وفَهْم الكثير من غوامضها ومشتبهها، وقد كان ترتيب إصدار هذه السلسلة لغاية، أرجو أن تكون قد تحققت وهي:

اولاً: إصدار كتاب «الفقه عند الشيخ» يوضح علو كعب الشيخ في الفقه الإسلامي باعتباره متأخراً، ويثبت أنه إمام مجتهد من أئمة أهل السنة والجماعة، فإذا صح هذا، فلا يعقل ما ينسب إليه من كفر وإلحاد وزندقة، فإن ما دوَّنه في العقيدة والأصول والأحكام، لا يمكن لعاقل إلا أن يقول: إنها لا تصدر إلا من مؤمن كامل الإيمان.

ثانياً: أعقبت الفقه بإصدار كتيب بعنوان «الإنسان الكامل والقطب الغوث» يوضح فَهْمَ الشيخ في آية قرآنية واحدة وحديث صحيح واحد، ليس في هذا الفهم أي مأخذ شرعي، ولو لم تقبله بعض الأمزجة والأفهام القاصرة.

ثالثاً: أعقبت هذا بكتاب «شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية» ناقشت فيه كل التهم التي نسبها الإمام ابن تيمية إلى الشيخ الأكبر، بمقارنة النصوص الواردة عن كل من الرجلين، ويتضح للقارىء المنصف المحقق، عدم صحة كل ما نسبه الإمام ابن تيمية إلى الشيخ، ثم جمعت

شرح الشيخ لبعض كلمات الصوفية وبعض كلامه، الذي يتوهمه القارىء أو السامع ببادىء الرأي أنها كفر، وكيف ألبسها الشيخ ثوب الشريعة بالنصوص، وأنه كلام في دقائق التوحيد من مقام الإحسان.

رابعاً: فوجب التعريف بالشيخ، فأصدرت «ترجمة حياته من كلامه» وفيها جمعت كل ما أمكنني مما قاله الشيخ، عن نفسه وسلوكه وتحصيله وفتوحه وعلومه، وشرطه ونصه على من يخاطبه بها.

خامساً: كان لابد من توضيح ما جاء في بعض هذه الترجمة، فكان كتاب «الحب والمحبة الإلهية» مترجماً عن أذواق الشيخ في المحبة الإلهية ومقام المحبوبية، الذي جاء به القرآن والسنة الصحيحة.

سادساً: ختمت هذه السلسلة بكتابي هذا «الخيال عالم البرزخ والمثال» و«الرؤيا والمبشرات» يعلم منه القارىء، ما هي الحضرة التي يتكلم منها الشيخ في كتبه؟ ومع من يتكلم من البشر؟ وهل هذا الذي جاء به هو محض أوهام وخيالات فاسدة، كما يتصوره قاصر العقل وعديم الذوق، أم هي خصوصيات إلهية يختص بها الله من يشاء من عباده، أثبتها الشرع وجاء بها الرسول ﷺ، ولكن غفل عنها كثير من الناس؟

والله تعالى أسأل أن يوفقني لإصدار السلسلة التالية، من تفسير القرآن وشرح الحديث عند الشيخ الأكبر، إنه الموفق لا رب سواه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

دمشق في غرة شعبان ١٤٠٤هـ

محمود محمود الغراب